أضواء على فكر وشخصية مالك بن نبي:

1-حياته:

هومالك بن نبي ابن الحاج عمر ابن الخضر بن مصطفى(1905-1973م)يعتبر أحد رواد وأعلام الفكر الإسلامي العربي في القرن العشرين "20" ولد في الفاتح من جانفي عام 1905م الموافق ل05 ذي القعدة 1923هـ بمدينة قسنطينة، نشأ في أسرة فقيرة في مجتمع جزائري محافظ، عندما بلغ ابن النبي سن السادسة من عمره دخل المدرسة الابتدائية الفرنسية في **تبسة** وتفوق على أقرانه وانتقل إلى قسنطينة لمواصلة علمه بعد حصوله على الشهادة الابتدائية، فحرص أبوه على تلقينه الثقافة الإسلامية لدى الشيخ عبد الحميد ابن باديس في الجامع الكبير إلى جانب دراسة الثقافة الغربية على يد "مارتن أنداك" واطلاع مالك على هاتين الثقافتين جعلت منه يعيش عصره ويتمسك بدينه، ثائر ا على التقاليد التي ورثها المسلم من عصور الانحطاط، وأحب مالك بن نبي مشاهدة السينما منذ طفولته فكان مولعا بالشريط الوثائقي الأمريكي "أسرار نيويورك" الذي كان يعرض في قسنطينة أثناء الحرب العالمية الأولى ومن هنا تركت فيه تلك الأشرطة السينمائية انبهار ا وألما في نفس الوقت فانبهر بما وصل إليه الغرب من حضارة وتمدن وتطور، ألما لما آل إليه العالم الإسلامي من تخلف وتقهقر هذا مما أثر فيه للبحث عن الأسباب والدوافع العميقة لهذا التقدم الغربي فاستغرب مالك من المسلم الذي يستهلك المنتجات الغربية دون محاولة التصدير للمنتوجات، فيشاهد التلفزيون ويركب السيارة والطائرة دون أن يسأل كيف صنعت فشبهه بالطفل الصغير الذي ينبهر باللعبة.[1]تخرج مالك بن نبي سنة 1925م وسافر بعدها إلى فرنسا فأغلق الاستعمار الفرنسي أبواب العمل في وجهه فاكتشف أن أغلب الأوروبيون يحملون أفكار مسبقة عن المسلم الجزائري

1-د/عبد الله بن حمد العويسي ، **مالك بن نبي حياته وفكره** ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت ، ط1، 2012، ص51.

باعتباره متعصب جاهل منغلق حقير ومتخلف وغيرها من الصفات الذميمة التي غرستها الدعاية الفرنسية الاستعمارية في الأذهان فعاد الى بلده وعمل في محكمة أفلو في مارس 1927م و احتك في هذه الفترة بالفئات البسيطة من الشعب وبدأ عقله يتفتح على حالة بلاده ثم انغمس في الحياة الفكرية وتزوج فرنسية واختار الإقامة في فرنسا وشرع يؤلف في قضايا العالم الإسلامي كله فكان له سنة 1946م كتاب الظاهرة القرآنية ثم شروط النهضة 1948م الذي طرح فيه مفهوم القابلية للاستعمار وغيرها من كتبه ومؤلفاته وانتقل إلى القاهرة بعد إعلانه الثورة المسلحة بالجزائر 1954م وهنا حضي بالاحترام فكتب "فكرة الإفريقية الآسيوية 1956م" وبعد الاستقلال الجزائري عاد إلى وطنه ليواصل مهنته الحضارية بعد أن عمل مدير للتعليم العالي واستقال سنة 1967م وتفرغ للكتابة حيث بدأ في هذه المرحلة بكتابة مذكراته بعنوان شامل"مذكرات شاهد القرن" للبحث في أسباب الهيمنة الأوروبية ونتائجها السلبية وسياسة الاحتلال الفرنسي في الجزائر وأثارها المختلفة وما خلفته من دمار في شتى المجالات بالجزائر.

توفي مالك بن نبي في يوم 31 أكتوبر 1973م.

لقد ترك لنا مالك بن نبي إرثا عظيما شبيها بالمعدن النفيس لا يزيدها مرور الزمن إلا نفاسة في قيمتها ولا تأثر فيها السنين ولا النسيان ولا التجاهل فهي مثل قاع البحر كلما خاض الإنسان في أعماقه تكشفت له ثرواته وتبدت له عجائبه.[1]

العوامل التي أثرت في نمو شخصيته وفكره:

أ-**بيئته العائلية:** إنه من عائلة محافظة من منهل الطرق الصوفية ومناهل الإصلاح وتعتبر الحركة الإصلاحية بمفهومها العام سواء عند صالح ابن مهنا أم عند

[1]-رابح لونيسي، **مالك بن نبي المفكر العقلاني** ، دار المعرفة ، الجزائر، 2000، ط1، ص ص13،25.

إبن الموهوب من أكبر العوامل التي أثرت في مالك بن نبي ومؤلفاته فمن خلالها نقل منح بعض زملائه الفكر الإصلاحي إلى فرنسا للتعريف بالإسلام ورسالاته.

ب- **الحركة التنويرية في المشرق:** كان مالك بن نبي متتبعا للحركة التنويرية في المشرقعن طريق شيوخه والكتب والمجلات خاصة مجلة المنار، ومنبين الشخصيات التي أثرت في مالك وقرأ لها "**جمال الدين الأفغاني**"وكتابه الرد على الدّهريين، و رسالة التوحيد"**لمحمد عبده**"،و"طبائع الاستبداد" و" أم القرى" للكواكبي، كما تأثر بالمفكر"**رشيد رضا**" و"**محمد إقبال**". ونجد أن احتكاكه بالقادة المصريين جعله يولي الاهتمام بقضايا الثورات التحريرية.

كما تأثر بحمودة ابن الساعي والتقى به في الجزائر وأعجب بثقافته العربية والإسلامية الواسعة وإتقانه للاستشهاد بالآيات القرآنية لمعالجة مشكلة قضايا المجتمع الإسلامي.[1]

2- جهوده وآثاره الفكرية:

1- الظاهرة القرآنية: ظهر سنة 1946م في الجزائر.
2- لبيك رواية ظهرت سنة 1947م في الجزائر.
3- شروط النهضة ظهر سنة 1948م في الجزائر.
4- وجهة العالم الإسلامي ظهر سنة 1954م باريس.
5- فكرة الإفريقية الآسيوية ظهر سنة 1956م القاهرة.
6- النجدة ظهر سنة1957م بالقاهرة.
7- حديثا في البناء الجديد سنة 1959م بالقاهرة.
8- مشكلة الثقافة ظهر سنة 1959م بالقاهرة.

[1]-عبد اللطيف عبادة، **فقه التغيير في فكر ابن نبي**، الجزائر، ط.2، 2007، ص.ص 27- 30.

9- الصراع الفكري في البلاد المستعمرة ظهر سنة 1960م بالقاهرة.

10- الصعوبات علامة النمو في المجتمع العربي.

11- الاستعمار يلجأ إلى الاغتيال بوسائل العلم.

12- فكرة كومنويلث إسلامي.

13- تأملات في المجتمع العربي.

14- في مهب المعركة.

15- ميلاد مجتمع.

16- آفاق جزائرية.

17- مذكرات شاهد القرن (القسم الأول) 1965م بيروت.

18- إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث.

19- مذكرات شاهد القرن (القسم الثاني) 1970م بالجزائر.

20- مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي 1972م بالقاهرة.

21- المسلم في عالم الاقتصاد 1972م بيروت.

22-دور المسلم ور سالته في الثلث الأخير من القرن 20 سنة1977م بيروت.

23- بين الرشاد والتيه 1978م بطرابلس.

بالإضافة إلى مجموعة من المؤلفات والمخطوطات لم تظهر.[1]

[1]- عبد اللطيف عبادة، مرجع سابق، ص ص31، 32.

الفصل الأول:

النهضة وسياقها التاريخي

يعتبر مصطلح النهضة من أكثر المصطلحات تداولا على الألسن و كثرحضور ه في مجال الفكر الفلسفي المعاصر، حيث شغل الذهن العربي وشكل هذا المفرد أرضا خصبة للدرس الفلسفي وإطارا معرفيا مركزيا للجدال والحوار بين عموم المشتغلين في هذا الحقل ومنخرطين في عالم الفكر والحضارة، وقد تعددت تعاريفها بتعدد مفكريها، وهذا ما يدفعنا إلى طرح الإشكال التالي:

ما المقصود بهذا المفهوم "النهضة" من الناحية اللغوية والاصطلاحية ؟ وما مساره في الفكر العربي؟

المبحث الأول: النهضة لغة واصطلاحا.

1- **النهضة لغة:** مصطلح النهضة حديث التداول في الفكر العربي حيث جاء في لسان العرب أن النهوض هو البراح من الوضوح والقيام عنه، وبالعودة إلى القواميس العربية فإن المصطلح لن يخرج عن الفعل الثلاثي **(نهض)**، نهض ونهوض، وقف واستوى على قدميه، قام: "سقط ثم نهض" بسط جناحيه ليطير: "نهض العصفور"، قام يقضا نشيطا: **(هو ينهض من نومه باكرا)** استوى: **(نهضة السنابل)**، انتعش، استعاد نشاطه: **(نهض بلد قام تحرك مسرعا)** أسرع للملاقاة والتصدي: **(نهض إلى محاربة العدو)**.ا

ناهض: جمع نهض: نشيط ماض في عمله: **(شباب ناهض)**، جمع نواهض،

النهوض: وهو البراح من الموضوع والقيام منه والنهضة من الفعل الثلاثي: (نهض)[1].

[1] خليل الديك ،**المنجد في اللغة العربية المعاصرة** ، دار المشرق ، بيروت ،شركة الطبع والنشر ،بيروت،ط2،ص ص1458،1459.

ومن خلال المعنى اللغوي تتضح حركية النهوض وفعاليته في الأشياء سواءً على الصعيد الفكري والنفسي أو المادي، وفي كلا المعنيين هناك انتقال من حال إلى حال وتغيير في الهيئة والموضع وتحرك لحواس المرء و استحضار لطاقته وقواه، ومن هنا النهوض يرادف القيام وما أورده القرآن الكريم في الآية: "قل إنما أعظمكم لواحدة أن تقوم لله مثنى وفرادى".[21]

ومنه فإن استخدام كلمة النهضة يحيلنا إلى الكلمة الأوروبية"**Renaissance**"التي لم تظهر في اللغة الفرنسية إلا مع بداية القرن التاسع عشر و يقصد بها من ناحية أخرى باللغة الانكليزية إعادة الولادة "**Rebirth**"والتجديد "**Rnewal**" من الفعل "**Renaitr**" أن يولد مرة أخرى ومن اللفظ اللاتيني "**Ranaxi**".[3]

النهضة اصطلاحا:

تطلق كلمة النهضة على الحركة الثقافية التي بدأت في إيطاليا في منتصف القرن 14 واستمرت حتى القرن 17 وكانت تعرف باسم الإحياء، وهي محصلة لعملية تغيير واسعة من عدة جوانب والتي بدأت من خلال رجال الثقافة ضد العقم الفكري وضيق روح القرون الوسطى.[4]

1-سورة سبأ، الآية 46.

2-William D. Halsey, **Macmillan dictionary**, Editorial Director, Network, 1973, p.83.

3-عبد المنعم الحنفي، **موسوعة الفلسفة والفلاسفة**،ج1، ط.2، مكتبة المدبولي، القاهرة، 1999، ص.1482.

وعموما فإن النهضة هي عمل وفكر جماعي فلا يمكن لأي إنسان مهما بلغ من قدرات أن يقوم بنهضة بمفرده، بل إن الفكر النهضوي وكل الأفكار العظيمة هي أفكار تتناقل من جيل إلى جيل آخر لكي تستطيع أن تصنع التغيير المرجو.[1]

المبحث الثاني: السياق التاريخي للنهضة

النهضة الأوروبية: إن استعمال أول مصطلح لكلمة النهضة كان في اوروبا بعد أن وقعت أوروبا في العصور الوسطى تحت هيمنت رجال الكنيسة على مختلف شؤون الحياة، باعتبارهم علماء في الدين وفلاسفة في القانون الروماني، فحاربوا المفكرين وحاكموهم بقسوة واحتكروا زعامة المجتمع فتفشت فيه الخرافات وعم الجهل ولهذا كان المجتمع الاوروبي متخلف يئن تحت وطأة الإقطاع ويعاني من ويلات الحروب الإقطاعية والتجزئة السياسية.

إن عصر النهضة يؤرخ له من فترة الانتقال من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة وهي في القرن 14 و16 التي يؤرخ لها بسقوط القسطنطينية 1453، حيث نزح العلماء إلى إيطاليا حاملين معهم التراث اليوناني والروماني.

كما أن عصر النهضة يدل على التيارات الثقافية والفكرية التي بدأت في البلاد الإيطالية في منتصف القرن 14 وبلغت أوج ازدهارها في القرنين 15 و16 ومن إيطاليا انتشرت إلى فرنسا واسبانيا وألمنيا وهولندا وانجلترا وإلى سائر أوروبا، وهذا نتيجة وجود أنصارها يسرفون عليها المال الوفير مثل أسرة ميدشي في فلورنسا وسوفرز في ميلانو والبابوات في روما وتمثل ذلك في إحياء الفلسفة الطبيعية والعلم الطبيعي حيث أعيدت قراءة أرسطو بمنهج جديد، وكانت تعرف باسم (الإحياء).[2]

---

[1]–حسين حنفي، **تاريخ موجز للفكر العربي**، دار الرشاد، القاهرة، ط.1، 1996، ص ص349-350.
[2]–عبد المنعم الحنفي، مرجع سابق، ص.1482.

لقد بلغت النهضة الأوروبية ذروة عظمتها في اواخر القرن 16م تمثل هذا الانقلاب في اتجاه العقل الجديد في طريقتين أولهما إحياء الروح القديم وقد انطلق دعاة المذهب الإنساني إلى بعث ما عرف من أداب اليونان والرومان، ويسترشدون بها في إخضاع الدنيا لمصالح هذا الإنسان الجديد، والثاني الطريق الذي سلكه العقل الجديد ويتجلى باهتمامه بالطبيعة الحافلة بالحقائق إذ انبعثت صيحة "روجر بيكون" إلى التجربة والاختبار، مما مهد لنشأة العلوم الطبيعية مؤيدة بالمخترعات الحديثة.[1]

ومن أبرز أعلام عصر النهضة الأوروبية الذين كان لهم الأثر في تأسيس الحركة الإنسانية: **دانتي** " **(1265–1321م) Dante.Alighieri**:وهو الشاعر الإيطالي المبشر الأول للنهضة وقد بلغ أدبه الذروة شكلا ومضمونا في رائعته (الكوميديا) التي تميزت بطابع ديني عام نقدي لرجال الكنيسة.[2]

بتراك "**F. Petrarca**"**(1304–1374م)**: شاعر وكاتب إيطالي الذي استطاع الكشف عن العديد من المخطوطات الغير المعروفة لرجال الفكر القدماء واعتبر أسلوبهم الطريق الأصوب لتحرير الإنسان وخدمة الفكر والمجتمع.[3]

نيقولا ميكيافيلي "**(1469–1527م) Nicols Machiavels** " مؤرخ ومفكر سياسي إيطالي ترك وراءه عدد من المؤلفات التي تعتبر من أهم نتاجات عصر النهضة في حقل التاريخ والسياسة لا سيما كتابة ذائع الصيت.[4]

وليم شكسبير"**(1564–1916م) William Shakespeare**" شاعر وروائي إنجليزي يرجع الكثير من أفكار عصر النهضة والحرية الإنسانية في مؤلفاته ومن نتائجه

---

[1]–توفيق الطويل، **قصة الصراع بين الدين والفلسفة**، ط.3، دار النهضة العربية، القاهرة، 1979، ص.161.
[2]–كمال مظهر أحمد، **النهضة**، منشورات وزارة الثقافة والفنون، العراق، 1979، ص ص71-73.
[3]–المرجع نفسه ، ص ص81-82.
[4]–نيكولا ميكيا فيلي، **الأمير**، ترجمة: أكرم مؤمن، مكتبة ابن سينا للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، 2004، ص.77.

المذكورة مثل: روميو جولييت وحلم في منتصف ليلة صيف، حيث يكشف شكسبير عن الهوة العميقة بين أمال وأمنيات رجال النهضة وواقع الحياة والمجتمع.[1]

ليوناردو دافنتشي:(1452–1519م)Leonardo Davinci : والذي يعتبر من أبرز العباقرة الإيطاليين الذين أبدعوا في مجال الفن، حيث آمن دافنتشي بوجود علاقة ثابتة بين الفن والعلم، وكان يرى أن الإبداع الحقيقي في فن الرسم ومن أبرز أعماله "الموناليزا" أو الجوكندا.[2]

وهذاالمذهب الإنساني قد جعل يتسرب من المسيحية ويعمل على تغييرها من الداخل ومن خلال ذلك ظهرت ثاني الحركات وهي حركة الإصلاح الديني وقامت على مبدأ إعادة فتح باب الاجتهاد في الدين على أساس إحلال العقل محل النقل وإلغاء احتكار الفقهاء والكهنة وإلغاء دور الأولياء كوسائط بين الناس والله.[3]

ويواصل هذه الحركة الإصلاحية قهر البروتستانتي في ألمانيا على يد **مارتن لوثر**"**Martin Luther (1483–1586م)**" وهي ثورة علي بابا والكنيسة الكاثوليكية والثورة على صكوك الغفران.[4]

أما ثالث الحركات فهي الحركة العلمية التي أفرزتها عملية إحياء الدراسات التجريبية، فقد تم وضع أسس العلوم الطبيعية والفيزيائية وذلك نتيجة الاكتشاف الأوروبي لتراث العرب العلمي بين القرنين 13 و14فأخذت أوروبا تترجم التراث العر بي منذ القرن

---

[1]–كمال مظهر أحمد، مرجع سابق، ص.136.
[2]– المرجع نفسه، ص 140.
[3]–لويس عوض، **ثورة الفكر المعاصر في النهضة الأوروبية**، القاهرة، ط1، 1987، ص.288.
[4]–ابراهيم مصطفى ابراهيم، **الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم**، دار الوفاء للطباعة والنشر، الاسكندرية، ط.1، 2001، ص54.

الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر مباشرة وكان ذلك في موضعين أولهما في اسبانيا وثانيهما في صقلية ومملكة نابولي.[1]

وقد كان الإعجاز العلمي الكبير تحقق بظهور النظرية الفلكية الجديدة التي فجرها العالم البولندي **كوبر نيكوس** "**(1473–1543م) N. Copernic**" حيث أطلق نظريته الشهيرة التي تقول بدوران الأرض والكواكب حول الشمس وليس العكس، كما كان سائدا من قبل، فخلال القرنين 15 و16 حدث تقدم هائل في الميادين العلمية المتعددة من أهمها إعادة اكتشاف نظام مركزية الشمس على يد كوبر نيكوس.[2]

كما ثارت الكنيسة على **جاليليو**"**(1564–1642م)Galilèe** " عندما آمن بنظرية كوبرنيكوس واعتبرها حقيقة ثابتة لا مجرد فرض، وذلك من خلال دراستها بعناية واستعمال المنظار المقرب (التلسكوب) في بحثه ودراسته، وبعد ذلك ثبت له ما قاله كوبر نيكوس على أنه صحيح، وهذا ما جعل الكنيسة تحس بالخطر الذي يهدد سلطانها، فبادرت لتصدي أفكاره وحرمت تداول كتاب كوبرنيكوس.[3]

كما قد جاء **كذلك كيبلر(1571–1630م)** بعد ذلك بدفعة جديدة في العلم، ونظر في نقاط الضعف التي اتسمت بها نظرية كوبرنيك، وبادر إلى سد الثغرات في أراء سلفه، ولكنه قد أهين من قبل الكنيسة كما أهين جاليليو وكوبرنيكوس من قبله.[4]

---

[1]–عبد الرحمن بدوي، **فلسفة العصور الوسطى**، دار القلم ، بيروت ، ط.3، 1979، ص ص87-88.

2–بيرتراندراسل، **حكمة الغرب**، ترجمة فؤاد زكريا،ج2،سلسلة كتب عالم المعرفة، الكويت، العدد72،ديسمبر، 1983، ص17.

2-عبد الله العمر،**ظاهرة العلم الحديث**، سلسلة كتب عالم المعرفة ،الكويت، العدد 69، سبتمبر،1983،ص13

[4]–المرجع نفسه ، ، ص، 32.

ومن خلال ذلك ظهر رجال كبار ناصروا العلم من أمثال **نيوتن (1642–1727م)** **وباركلي (1693–1762م)** وغيرهم من المفكرين ورجال العلم الذين أثبتوا آنذاك النظرية الفلكية الجديدة حقيقية مؤكدة.[1]

فهذه الحركة العلمية الجديدة كانت دفعا للعلماء نحو قطيعة شبه كاملة مع فكر العصور الوسطى وأحدثت انقلابا واضحا في أسس المنهج العلمي، باعتبارها منهجا على التجربة والاستقراء في علوم كثيرة، وهذا ما تحقق بالفعل على يد فرانسيس بيكون (1561–1626م) الذي ضمن مبادئ الاتجاه العلمي وفلسفته في كتابه (الأوروغانون الجديد) وأراد أن يضع للعقل الإنساني خطة جديدة يسير عليها.[2]

2–**النهضة العربية:** إن مصطلح النهضة العربية لم يتداوله المفكرين العرب إلا بعد أن وجدو أنفسهم في مقارنة مع الغرب المتقدم والتي بدأت منذ أكثر من مئة عام، حيث أن النهضة العربية لم تكن ب"واد النيل"فقط بل في الشام أيضا.[3] وهناك من يرجعها إلى هبوط الجيش الفرنسي بقيادة نابليون بونابرت على شواطئ الاسكندرية وقضائه على جيوش المماليك عام 1798م باعتبار وجود المماليك في مصر يعتبر عائقا أمام النهضة لما فرضوه من جمود فكري، وبهذا كانت الصدمة الأولى هي حملة نابليون بونبارت على مصر، حيث بدأت بعدها البعثات العلمية لأغراض دفاعية مما اوجدت تلك المقارنة بإدراك ما تسبب به الحكم العثماني من تخلف وكان بقاؤه مرهونا باستمراره في عزل العالم العربي المتسارع في تقدمه، فاقتصرت العلوم عند العرب في تلك الحقبة على المعلومات القديمة في أصول الدين والفقه والنحو والصرف وبعض الحساب البسيط والفلك القديم

[1]–عبد الله العمر، **ظاهرة العلم الحديث**، مرجع سابق ،ص ، 37.
[2]–أحمد امين، وزكي نجيب محمود، **قصة الفلسفة الحديثة**، القاهرة، ط5، 1967، ص.43.
[3]–شكيب أرسلان، **نهضة العرب العلمية في القرن الأخير**، ج3، دمشق، 1954، ص.34.

لمعرفة أوقات الصلاة، واكتفى العلماء والعرب بالتهام المعلومات القديمة فقط دون تجديد.[1]

ومنه فإن مفهوم النهضة العربية الإسلامية لا يوجد حتى الآن تعريف واضح لها، فهذه الكلمة شغلت الأذهان منذ مطلع القرن العشرين ولا زالت.

وبالمفهوم الخاص لها والاعتماد على مفاهيم عصر النهضة الاوروبية فإنها تعني حركة إحياء التراث القديم في كل من الفنون والآداب وما صاحبها من تغيير في أسس الحياة عامة.[2]

المبحث الرابع: نماذج من حركات النهضة في العالم العربي الإسلامي:

1- رفاعة الطهطاوي(1801-1873م): إن الاطلاع على تجربة الطهطاوي ومنهجه في التغيير نجد أنفسنا أمام تجربة كانت بمعظمها أسيرة لعهدة محمد على باشا في الحكم.

لقد حث الطهطاوي على ضرورة تعاطي العلوم العقلية التي اعتبرها سر تقدم أوروبا وحاول تطبيق ما شاهده في باريس على مجتمعه في مصر، ساعية للتوفيق بين مواد الدستور الفرنسي وبعث قوانين الشريعة الاسلامية ومقاربا بين المفاهيم الفرنسية الليبرالية في الحرية والمساواة والعدالة وبين المفاهيم الاسلامية وجمع بين وظيفة دعم السلطة القائمة باسم الاسلام وقيادة التمرد الشيعي باسم الاسلام.[3]

وبالاطلاع على الظروف الاجتماعية والسياسية التي ساعدت على تكوين فكرة بعد أن مصر كانت حينها في حالة سياسية تعتبر مفصلا مهما في تاريخها والتي تم فيها

---

[1]–حسين مؤنس، **تاريخ موجز للفكر العربي**، دار الرشاد، ط.1، 1996، ص،340.
[2]–مصطفى حسيبة، **المعجم الفلسفي**، الأردن عمان، ط.1، 2008-2009، ص،313.
[3]–جمال الدين الأفغاني، **العروة الوثقى**، دار الكتاب العربي، بيروت، دون ط ،1980،ص،47.

صياغة فكر سياسي أعطى جملة مفاهيم نتيجة صراع بين حضارة غربية أوروبية تريد فرض نفسها على المجتمعات الأخرى وبين مقاومة المجتمع لكل أشكاله على مستويين، مستوى مؤيد مخلص للحضارة الأوروبية ومنجزاتها وبين فئة معارضة لدخول الطابع الغربي إلى مجتمعه.[1]

2- خير الدين التونسي:(1810-1899م) لا يبتعد نهج خير الدين التونسي كثير على نهج الطهطاوي في الفترة الأساسية التي يدور حولها كتابه (أقوال المسالك) هي التنظير لمسألة استعارة التجربة الأوروبية في عملية النهوض بالأمة الإسلامية عموما وتونس خصوصا ويرى أنه يستلزم معرفة قوة المستعد له والسعي في تهيئة مثله أو خير منها ومعرفة الأسباب المحصلة لها قال في ذلك: "الواجب مجاراة الجار بكل ما هو مضنة لتقدمه سواء كان من الأمور العسكرية أو غيرها (من قاتل فيقاتل كما قاتل)". يحاول إظهار المرتكزات الشرعية وعدم تناقض التجربة الغربية مع التجربة الإسلامية ودعوته إلى إرسال بعثات دراسية إلى الخارج وتطبيق أنظمة عسكرية غربية.[2]

3- جمال الدين الأفغاني: (1838-1897م) والذي حمل فلسفة الفعل باعتبار أن الملاحظة تحدث فكرة ثم يعود الفكر إلى التأثير المتبادل دائما وباستمرار لتحدث التغيير الدائم في كل الأشياء وهكذا يحدث الطرح الفكري مع الطرح السياسي عند الأفغاني وانطلق للعمل مهتديا بالقرآن بدعوته في حركته الدينية للاهتمام بالقضاء على ما رسخ في الأذهان من فهم بعض النصوص والعقائد الدينية على غير وجهها الحقيقي مثل: حملهم القضاء والقدر الذي يخضع الفكر للجمود.[3]

ومنه فإن حركة الأفغاني قد تبلورت في الدعوة إلى الوحدة الإسلامية من خلال تجميع الأمة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا.

---

[1]-رفاعة الطهطاوي، **مجلة المنطق**، العدد 58، ص.29.
[2]-رفاعة الطهطاوي، **الأعمال الكاملة ج**، تحقيق محمد عمارة 2، بيروت، دون ط، 1973، ص.469.
[3]-مرتضي مطهري، **الحركة الاسلامية في القرن الأخير**، بيروت، ط1، 1982، ص.74.

الفصل الثاني:

الحضارة في تصور مالك بن نابي.

كان نمط حياة الانسان منذ وجوده على سطح الأرض حياة فردية مكتفيا بذاته، ومع مرور الزمن وتعقد الحياة وتطورها بتطور وتنوع حاجاته والأخطار المهددة له قد ألزمته واجبرته على محاولة تطوير حياته بالانتقال من الحياة الفردية والانانية إلى الحياة الاجتماعية والاندماج في الجماعة والتي منها تشكل المجتمع، ونظرا لتعدد الحاجات والضروريات وتضارب المصالح ولد الحاجة إلى التنظيم في سلوك الافراد بوضع قوانين ودساتير لنيل من خلالها الحقوق والقيام بالواجبات لتحقيق العدل والمساواة لضمان الاستقرار وحياة الرفاهية، فإشراك الفرد مع غيره في الحياة لدفع الضرر وتحقيق المنفعة، أنها ساهمت في قيام ونشأة العلاقات الاجتماعية التي تعد سببا في تقدم الفرد وتمدنه وتطوره وتنشئة ما يسمى بالحضارة التي تعتبر المحور الرئيسي، والإطار الأساسي التي تدور حوله نطاق أفكار مالك بن نابي، والذي وضع انتاجه الفكري تحت عنوان: "مشكلات الحضارة"، وهذا مما يدفعنا إلى طرح الاشكال الآتي:

فما مفهوم الحضارة؟ وما شروطها وحاورها في انتاج فكر مالك بن نابي؟.

المبحث الأول: مفهوم الحضارة.

للإجابة على الاشكال يتطلب منا أولا تعريف الحضارة من الناحية اللغوية والاصطلاحية، فالحضارة من الناحية اللغوية حيث أن المتتبع للفظ الحضارة، كما ورد في معاجم اللغة العربية، لا يكاد يخرج عن دائرة الاقامة في الحضر أي المدن والقرى، فهو ضد البداوة، والتي تعني الاقامة المتنقلة في البداوي[1] وكما ورد في المعجم الفلسفي "جميل صليبا" بقوله: الحضارة تفي الاقامة في الحضر، بخلاف البداوة والتي تعني الاقامة في البداوي[2] وجاء في معجم الاعلام، أن الحضارة من الفعل الثلاثي، حضر، أي أقام بالحضر وكما تشبه بأخلاق الحضر.[3]

وكما نجد في قاموس اللغة الفرنسية (le petit Larousse) يقدم تعريف آخر، بأنها مجموعة المميزات والقيم الشاهدة على درجة التقدم الانساني وتطور المجتمعات الايجابي.[4]

وعليه فالحضارة في تجذرها، وأصلها اللغوي ترتكز على الجانب السوسيولوجي وكأنها تشير إلى أن الحضارة بين الناس.

وكان أول من أطلق هذا اللفظ هو المفكر العربي "عبد الرحمن ابن خلدون" والذي كان قريب من معنى الحضارة، "والذي ميز بين العمران البدوي والعمران الحضري وجعل لفظ حضارة مقابل بدو وبداوة".[5]

---

[1] ابن منظور، **لسان العرب**، حرف الحاء، المجلد 4، دار صادر، بيروت، ط.1، 2003، ص.148.

[2] جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، ج.1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط.1، 1978، ص.475.

[3] - لويس معلوف ، **المنجد في اللغة والاعلام**، دار دمشق، بيروت، ط.3، 1997، ص. 139.

[4] Le petit Larousse illustrée, 2007, p. 251.

[5] آمنة تشيكو، **مفهوم الحضارة عند مالك بن نابي**، وأر لوند توينبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص.17،18.

أما الحضارة عند مالك بن نابي يعرفها من عدة جوانب:

الأولى: الحضارة باعتبار جوهرها يعرفها بأنها: "في جوهرها عبارة عن مجموع من القيم الثقافية المحققة"، فالثقافة في جوهرها الحضارة لأن: "كل واقع اجتماعي هو في أصله قمة ثقافية خرجت إلى حيز التنفيذ.[1]

الثاني يعرفها بأنها: "انتاج فكرة حية تطبع على المجتمع في مرحلة ما قبل التحضر، الدقة التي تجعله يدخل التاريخ ويبني هذا المجتمع نظامه الفكري طبقا للنموذج المثالي الذي اختاره، وعلى هذا النحو تتأصل جذوره في محيط ثقافي أصيل".[2]

الثالث: والذي يعرفها من خلال عناصرها الثلاث: الانسان، التراب، والزمن "الحضارة = انسان + تراب + زمن" [3] والذي يركبها العامل الاخلاقي والدين يعمل على تماسكها.[4]

الرابع: الحضارة باعتبار وظيفتها فهي من هذا الجانب يعرفها بأنها: "جملة العوامل التي تتيح لمجتمع ا أن يوفر لكل فرد من أعضائه جميع الضمانات الاجتماعية اللازمة لتقدمه" [5] وعليه فالمقياس العام لعملية الحضارة هو أن الحضارة هي تلد منتجاتها، فشراء منتجات منتجات الحضارة، اما هو تحصيل لهياكلها وجسدها لا روحها".[6]

وعلى هذا الأساس والتعريفات الأربعة أعطى مالك بن نابي مفهوم الحضارة التي تتطلب في معنى واحد من خلال تركيب عناصرها الثلاث، الانسان والتراب والزمن.

---

[1] مالك بن نابي، **مشكلة الثقافة**، دار الفكر، دمشق،ط4،1984 ،ص ص.98- 102.

[2] مالك بن نابي، **مشكلة الأفكار في العالم الاسلامي**، ت:بسام بركة ، دار الفكر ،دمشق ،ط4،1984م، ص.،49.

[3] مالك بن نابي، تأملات، دار الفكر، دمشق، ط1 ،1989 ،ص ، 198.

[4] مالك بن نابي، **فكرة الافريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر با ندونغ** ، ت ،عبد الصابور شاهين ،دار الفكر دمشق، ط3، 1971ص ،134.

[5] مالك بن نابي، مشكلة الافكار في العالم الاسلامي، مصدر سابق، ص.50.

[6] مالك بن نابي، شروط النهضة، ت :عبد الصابور شاهين دار الفكر، دمشق ، ط1 ،1989، ص.43.

المبحث الثاني: مراحل الحضارة وشروطها.

1- مراحل الحضارة: يقسم مالك بن نبي الحضارة إلى ثلاث مراحل:

الطور الأول: وهو مرحلة الروح بحيث يعتبر تمثيلا أوليا لإشعاع الفكرة الدينية التي تتمكن من النفوس وتبنيها بناءا مرصوصا كما كان ذلك في الوقت بدأت في غار حراء وكان تأثيرها فعالا في النفوس فكنا نلاحظ أنه بمجرد ما تنزل آيات الخمر مثلا: فإن الصحابة ينتهون عن شربها حتى أن واحدا كعمر ابن الخطاب رضي الله عنه والذي كان يأتيها في الجاهلية تغلى عنها بتلك السهولة بمجرد أن أعلن إسلامه (نذكر هنا أن كلا من الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفياتي كان قد أصدر مرسومين يقضيان لمنع تعاطي الخمر تراجع عنه لاحقا.[1]

فالفكرة الدينية تتولى إخضاع غرائز الفرد العلمية شرطية وهي تنظيمها في علاقة وظيفية مع مقتضيات الفكرة الدينية فالحيوية الحيوانية التي تمثلها الغرائز في صورة محسوسة لم تلغى ولكنها انضبطت بقواعد نظام معين نتيجة المقتضيات الروحية التي طبعتها الفكرة الدينية ابن نبي بعض الأمثلة من خلال مسار الدعوة الاسلامية أن القانون الروحي أو العقيدة الاسلامية هي التي كانت تحكم بلالا رضي الله عنه حينما كان سوط التعذيب يرفع سباته ولا ينقطع عن تكرار قوله أحد؟ أحد؟

كما صيغة الروح هذه كانت تتحدث بصوت تلك المرأة الزانية التي أقبلت على الرسول (ص) لتعلن عن خطيئتها وتطلب إقامة حد الزنى عليها، فكل هذه الوقائع ناتجة عن معايير الطبيعة، وتدل على أن الغريزة قد كتبت وظلت محتفظة بنزوعها إلى التحرر

[1]–الأخضر شريط، **مشكلة التاريخ في الحركة التاريخية**، دار الخليل العلمية الجلفة ، طبعة خاصة، 2013، ص.26.

وهذه المرحلة مارس فيها القرآن نشاطه في النفوس وجعلها تلبي النداء في كل لحظة والتي امتدت ما بين نزول القرآن الملكي ونزول القرآن المدني.[1]

وفي هذا يقول مالك بن نابي حيثما فقدت الروح فقدت الحضارة وانحطت لأن من يفقد القدرة على الصعود لا يلبث أن يسقط بتأثير من جاذبية الأرض.[2]

الطور الثاني: مرحلة العقل: بعد سيطرت فيه الروح على الغريزة واصل المجتمع تطوره ونمو هواكتمال شبكة روابطه الداخلية التي أبرزته الفكرة الدينية إلى النور وهذه المرحلة تمثل في رأي مالك ابن نابي سوى تنازلا لعالم الروح إلى عالم العقل ومن هنا تنشأ المشاكل المحسوسة لهذا المجتمع الوليد نتيجة توسعه كما تتولد ضرورات جديدة نتيجة اكماله.

وأثناء مواصلة التاريخ سيره يستمر هذا التطور في نفسية الفرد وفي البنية الأخلاقية للمجتمع الذي يكن عن تعديل سلوك الأفراد، وحيث يدخل ذلك نقصا في الفعالية الاجتماعية للفكرة الدينية التي تستمر في نقصانها منذ دخلت الحضارة منعطف العقل.

ويعتبر مالك بن نابي أن ازدهار العلوم والفنون في أي أمة يلتقي "من علم العلل" والبحث مع بدأ مرض اجتماعي معين.[3]

تاريخيا يمثل العصر العباسي الذي عرف بالعصر الذهبي للحضارة الاسلامية الذي جمع لنا قائمة أسماء وعلماء ومفكرين شهد لهم التاريخ بأنهم أعلام عصرهم في ذلك أمثال: الكندي والفارابي وابن سنا والغزالي وابن النفيس والرازي والخوارزمي وغيرهم من المفكرين وهذا يعني أن المجتمع التاريخي في هذه المرحلة وصل إلى تكملة بناءه

---

[1]–سليمان الخطيب، **فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي**، دار النشر بيروت لبنان،ط1، 1993، ص.95.
[2]–مالك بن نبي، **ميلاد مجتمع**، بيروت، ط.3، 1986، ص.78.
[3]–سليمان الخطيب، **فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي**، مرجع سابق ،ص.96.

الاجتماعي والذي يلخصه مالك بن نبي في هذه المقولة:" إن العلاقات الاجتماعية تمكنت بما توجد عالم أفكار عالم أنشئ الحضارة وهذا الأخير يتمثل في العهد العباسي الأول والثاني وما تلاه، والذي ازدهرت فيه الفنون والعلوم وتمثلت في الجوامع والمنارات والقصور وغيرها ما أنشئت في بغداد والقاهرة ودمشق وغيرها.

الطور الثالث: طور الغريزة عندما يبلغ الفرد تمامه من خلال ضوابط الفكرة الدينية يبدأ الطور الثالث والذي تنتهي فيه الوظيفة الاجتماعية للفكرة الدينية وتعجز عن القيام بمهمتها في مجتمع منحل حيث يفقد كل ما يربط أواصره وتتحول صالونات الآداب بالأندلس إلى مراقص وملاهي بدعوة التجديد والتطور والتقدم الحضاري وتصبح الزخارف والعناية بالمظهر على حساب المخبر غاية المجتمع وهذا ما اصطلح عليه ابن النبي بعالم الأشخاص فعالم أفكار الحضارة في هذه المرحلة قد أصيب بالشلل وذلك ممثل في عصر الانحطاط من الحضارة الإسلامية، حيث بقيت مقدمة ابن خلدون حروفا ميتة ومكتبات القيروان وفاس وغيرها تزخر بالكتب لكن غابو ا المنشغلين المتصفحين لها.

إن مرحلة الغريزة هي الطور الحضاري الذي ينبأ عن مجتمع سماه مالك بن نبي بمجتمع ما بعد الحضارة.[1]

وهكذا يرى مالك بن نبي أن تكون في الطور الثالث إزاء علم بعثته الدوافع النامية عن الفكرة الدينية وأشرقت به أنوار الحضارة غير أن دورته انتهت وجرفت الفوضى واستحال تحقيق حضارة.

[1]–الأخطر شريط، **مشكلة التاريخ في الحركة التاريخية**، مرجع سابق، ص،27.

ومن خلال ذلك تترجم هذه الاعتبارات والمراحل في صورة تخطيطية على النحو التالي:

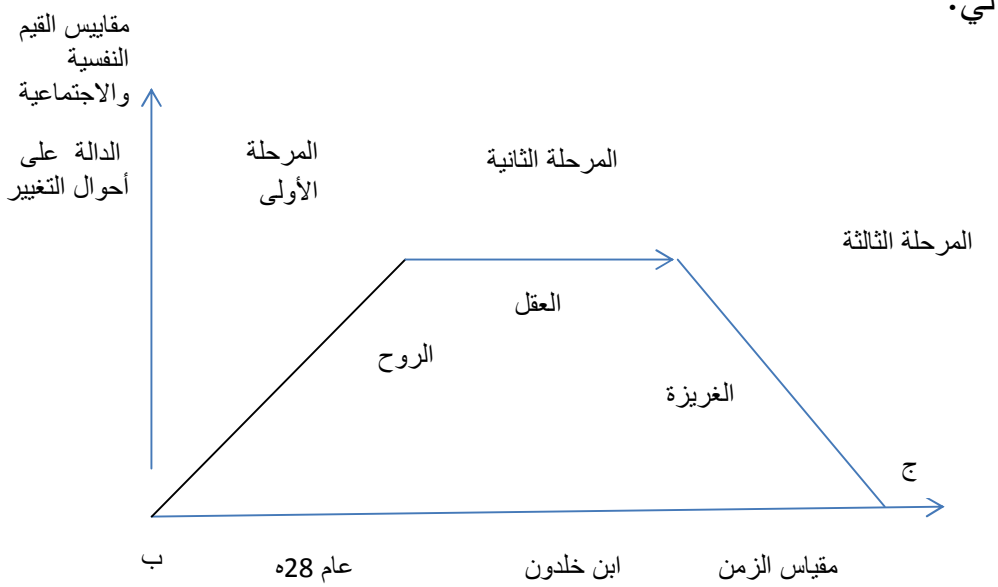

(1)

2- شروط الحضارة في فكر مالك بن نابي:

I. -الانسان:

تتعدد المشاكل التي تحيط بالإنسان باختلاف بيئته اما بالتنوع مراحل التاريخ، ففي الوقت الحالي لا يمكننا أن نوازن بين رجل أوروبا المستعمر ورجل العالم الاسلامي القابل للاستعمار باعتبار كلاهما في طور تاريخي خاص به فنجد الرجل في بلد أوروبي كبلجيكا لا يتمتع بتوازن اقتصادي في حياته نتج عن عدم الملائمة بين حاجاته وتيار الانتاج الصناعي المسموع ومن تنشأ مشكلة اجتماعية يعانيها شعب بلجيكا وهي مشكلة الحركة فهذا الاضطراب لا يشعر به الانسان الذي لا يعيش في هذا التيار أما في البلاد

[1]-مالك بن نبي، **شروط النهضة**، مصدر سابق، ص،74.

الاسلامية فإن أزمتها عكس ذلك فهي ليست في الحركة وإنما في الركود، فهي مشكلة الانسان الذي عزف عن الحركة.[1]

ولهذا يعتبر الانسان المرتبة الأولى عند مالك بن نابي أنه هو الذي يوجه الأشياء والأفكار والوقت ويصنع النهضة ويحدد القيمة الاجتماعية للمعادلة التي صاغها مالك بن نابي ولكي يكون هذا الانسان قادرا على التأثير في مجتمعه من أجل تحقيق نهضة بثلاثة مؤشرات:(فكره،عمله وماله).

1-توجيه الفكر: ففكر الإنسان مرتبط بتقدم الأمة أو تأخرها ولتقدم الأمة لابد على الانسان أن يعمل على تنقية فكره من كل أنواع التخلف والقابلية للاستعمار والأفكار المميتة والقاتلة فالأولى ورثها المجتمع عن ما بعد الموحدين وهذه الأفكار أرشد من الأفكار القاتلة لأنها منسجمة مع عاداته، وهذه الأفكار لم تولد في باريس ولندن وإنما ولدت في الجزائر وتونس والقاهرة وفاس أما الأفكار القاتلة نستعيرها من الغرب والتي أطلق عليها مالك بن نابي القابلية للاستعمار التي تعتبرها معرقلا لحركة النهضة لهذا بلغ على تنقية الفكر من هذه الرواسب لكي يستطيع تدعيم عالم الأشياء ويضرب لنا ابن نبي أمثلة بتجارب الغرب فألمانيا في حرب 1945م فقدت عالم أشياءها حيث دمرت وأتلفت آلاتها وبنوكها ولكنها لم تفقد عالم أفكارها واحتلت مكانتها السياسية في عالم وحققت ثقافة والتي يراها مالك ابن نابي أنها تلازم الأنسان وهي الدستور الخلقي والذوق الجمالي والمنطق العلمي والصناعة بتعبير ابن خلدون أو التقنية من هنا فإن الثقافة بصورة عامة مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يتلقاها الفرد منذ ولادته، وهي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته، ومن هنا فلا سبيل لعودة الثقافة لوظيفتها الحضارية إلا تنظيف الفكر من الحشو والانحراف لموضوع الثقافة النظر للخلط

[1]-مالك بن نبي ،**شروط النهضة**، مصدر سابق، ص 81.

فيه وهذا ما يسميه ابن نبي بالحرفية الثقافية ومن العناصر الضرورية للثقافة لتكوين الفرد:

أولا: الجانب الخلقي: يعطي مالك بن نابي أهمية للتوجيه الأخلاقي وما تحمله من تعاليم الدين ومنه فالروح الأخلاقية منحة الاهية لعباده على وجه الأرض ومهمتها في المجتمع ربط الأفراد ببعضهم البعض .1، مصداقا لقوله تعالى: "وألف بين قلوبهم أو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم".[1]

ولهذا يهدف الدين عموما لدفع النفس الانسانية إلى الانضباط كي لا تطغى عليها النوازع العدوانية كالأنانية وحب التملك وغيرها مثلما اقترفه الانسان الأوروبي والأمريكي الشمالي في حق الانسانية عندما استبدل الدين بالعلم، فصار آلة للتدمير وهذا ما دفع العديد من المفكرين إلى انتقاد ذلك حيث نجد "جون جاك روسو "(1712–1778م) الذي اعتبر العلم سببا في تخلي الانسان عن طبيعته الخيرة.[2] وهذا ما دفع فلسوف التاريخ الألماني **اوزفالدشبنغلر**"**O.Spengler**"**(1880–1936م)** الذي يرى أن الحضارات العظمى لا تظهر إلا إذا اكتشف أفرادها طريقة جماعية سرية للشعور بالعالم فإذا التزم الأفراد بنفس المبادئ الاخلاقية التي تهذب مطامعهم إلى غاية واحدة فلا تتصادم سلوكاتهم، وقد يحمل حتما هذا الاكتشاف.[3] وكما تعتبر الفكرة الدينية واضحة في نشأة الحضارة عند أرلوند توينبي.

ثانيا: التوجيه الجمالي: التوجيه الجمالي عند مالك ابن النابي في بناء الانسان للسير في تحقيق نهضة ويتجلى الجمال عنده في الألوان والأشكال والحركات التي يقبلها

---

[1]-مالك بن نبي ، شروط النهضة ، مرجع سابق ،ص ص 83-.84

2–سورة الأنفال، الآية 8.

3–جان جاك روسو، **أصل التفاوت بين الناس**: يولس غانم، تقديم ربيع عبد الكريم الشيخ الأنيس، سلسلة العلوم الانسانية، اشراف على المكر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1991، ص 131.

[4]–أزوالدشبنغلر، **تدهور الحضارة الغربية، ج1**، أحمد الشيباني، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1964، ص329.

الذوق السليم وتنعكس إيجابا على أفكار الفرد فتوجهه للشعور بقيمته وكرامته فيرقى بسلوكه إلى الفضيلة وتنسق بنيته النفسية وتوافق المبدأ الأخلاقي السليم، فمهما كان المظهر الجمالي طبيعيا أم فنيا فإنه يوجه الكيان الإنساني إلى الرقي بفكره مما يعطي القابلية للإبداع، [1] والذوق الجمالي اليوم أصبح مفقودا في عالمنا حتى وإن كان موجودا في ثقافتنا قد سخرناه لحل مشكلات جزئية وأصبح لا ينطبع في فكر الفرد فإذا انطبع يستخدمه فيما لا يغني ولا يسمن من جوع، فالمنظر القبيح يوحي في النفس خيالا وفكرا أقبح والمجتمع الذي ينطوي على صورة قبيحة لا بد أن يظهر أثر هذه الصورة في أفكاره ومساعيه. [2] والقرآن الكريم مليء بالآيات والأحاديث التي تدعو للجمال فقال الرسول (ص) "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، قال رجل: إن الرجل يجب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا، قال إن الله جميل يحب الجمال". [3]

أما الجمال في فلسفة هيجل (1770–1831م) يعتبر أن النتاج الطبيعي قابل للفناء لأنه لا يحتوي روحا على خلاف العمل الفني الذي يدوم بسبب تدفقه من الروح وكذا توجهه إليها، كي يوقظ فيها الشعور بالجمال والذي يجب ترقيته فينا إلى أن يصير ذوقا فيشير هيجل إلى أن العقيدة دفع إلى الابداع الفني الذي يدفع روح المتلقي إلى الارتقاء الحلقي ومنه فعلاقة الخلق بالجمال طردية جدلية معا فالمجتمع الغربي يعطي الأسبقية للذوق الجمالي على المبدأ الأخلاقي عكس المجتمع الاسلامي الذي يرفعه إلى المقام الاول و هذا ما جعل الحضارة الاولى تسقط في المادية والثانية تسمو إلى الروحانية. [4]

ثالثا: المنطق العملي: إن "المنطق العملي" أو العمل التطبيقي لا يعني مالك ابن نابي بهذه الفكرة ذلك الشيء الذي دون أصوله ووضعت قواعده منذ أرسطو وإنما يعني به

---

[1]–مالك بن نبي، **تأملات** مصدر سابق، ص 202.
[2]–مالك بن نبي، **مشكلة الثقافة**، مصدر سابق ، ص 81.
[3]–حديث نبوي رواة مسلم،193/1 الحديث 147، واحمد 399/1 واللفظ مسلم.
[4]–هيجل، **المدخل إلى علم الجمال، فكرة الجمال**، ت. جورج طرابشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ،ط3، 1988، ص ص 68-73.

كيفية ارتباط العمل بوسائله ومعانيه فهو لا يعني الحصول على لقمة العيش فحسب بل استخراج أقصى ما يمكن من الفائدة وهذا المنطق العملي بعد أحد العناصر ومكونات الثقافة وهو جوهر اتحاد الفكرة بالعمل مستمدا معاييره من رصد إمكانيات الواقع الاجتماعي، حتى يتمكن الفرد من الربط السليم بين العمل ووسائله واهدافه وهذا هو الشيء الذي يكاد مفقودا في العالم العربي فالمسلم يتصرف مثلا في أربعة وعشرين ساعة كل يوم ولكن كيف يتصرف فيها وقد يكون له نصيب من العلم أو حظ من المال، فكيف ينفق ماله ويشغل علمه وكيف يستخدم امكانياته الحرفة التي تعلمها الوصول إلى ذلك.

رابعا: الصناعة: يعني مالك ابن نابي بالصناعة مصطلح التقنية والعلم والتوجيه الفني، وهي كل الفنون والمهن والقدرات وتطبيقات العلوم تدخل في مفهوم الصناعة وهذه الاخيرة هي التي تنتج للفرد كسب عيشه والوسيلة للحفاظ على بقائه واستمرار نموه تجعل الفرد باب الحضارة عن طريق توجيه طاقات الفرد للاستثمار في هذا المجال الحيوي فالغرب احتل الريادة عندما وجه كل طاقاته من أجل الاستثمار في هذا المجال متخذين المادة والانسان أساس في تحقيق أغراضهم وهذا ما يخالف رأي ابن نبي لهذه الفكرة استبدال الدين بالعلم باعتبار أن الثقافة ماهي إلا انعكاس لطبيعة الوجدان الانساني الذي يوجهها فالإنسان كما هو في رأي **كانط** كائن أخلاقي يملك العقل والارادة لتطبيقها وتتجسد في قوانين، فالعالم الاسلامي اليوم أصبح يتنافس على المناصب الاولى كما سماها ابن نبي المتعالمين ومن هنا تصبح الصناعة وسيلة لا غاية وهذا هو ال العالم العربي الاسلامي اليوم.[1]

[1]–مالك بن نبي، **شروط النهضة**، مصدر سابق، ص 104.

توجيه العمل:

يعد المنطق العلمي أحد عناصر النهضة التي تخط مصير الأشياء في الاطار الاجتماعي فنوجه العمل في مرحلة التكوين الاجتماعي عامة يعني سير الجهود الجماعية من عالم وامرأة ومثقف وفلاح فالمسلمون الاوائل عند تشييدهم للمساجد الاولى بالمدينة، فكانت هذه اول ساحة للعمل صنعت فيها الحضارة الاسلامية وتوجيه العمل في مرحلة التكوين الاجتماعي عامة، وهذا التوجيه هو تأليف الجهود لتغيير وضع الانسان للأحسن وكل ما زاد في البلاد من حرفيين وفنانين تتجه أحوال معيشة الفرد إلى وضعها الطبيعي، فالذي ينقص المسلم ليس منطق الفكرة ولكن منطق العمل والحركة وهو لا يفكر ليعمل بل ليقول كلاما مجردا، وعلى هذا الأساس فلا بد من إكرام اليد التي تمسك بالمبرد والفأرة فمنها ستنبثق المعجزات التي تنتظرها وقد انبثقت المعجزة فعلا حيث تحركت اليد فأمسكت الآلة وقلبت التراب، فتوجيه العمل يساهم دون شك في تحقيق نهضة، فإن الانسان هو الشرط الاساسي لكل حضارة وأن الحضارة تؤكد دائما الشرط الانساني.[1]

فالإنسان إذن هو محور الفاعلية في حركة الحضارة فعلية مدار الاختيار وعطاؤه في إطار حضارته وبالتالي فالحضارة الانسانية ككل محددة بالسقل الفكري والتكوين الثقافي المتأصلين في بيئة الحضارة.[2]

لقد أراد الله أن يكون الانسان خليفة في أرضه قال الله تعالى: "وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة".[3] وهذه المسألة تجعل الانسان يقف دائما كخليفة مفوض

---

[1]–مالك بن نبي، **وجهة العالم الاسلامي**، ت:عبد الصابور شاهين ،بيروت ،ط1،1959،ص. 198.
[2]–سليمان الخطيب، **فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي**، مرجع سابق، ص.81.
[3]–سورة البقرة، الآية 30.

من الله تعالى لإعمار العالم: "قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره هو أنشأكم واستعمركم فيها".[1]

1- توجيه رأس المال: لم لم يكن رأس المال في حد ذاته هو المشكلة التي تعرض لها كارل ماركس في آراءه عام 1848م وإندما كان تعرضه لنتائجه الاجتماعية كرأس ماله وعلى هذا فإن الثورة الصناعية كانت في أيامه قد جاءت نتائجها الأولى في أوروبا الغربي، وكان تركيز رؤوس الأموال وظهور طبقة البروتاريا العاملة أكبر وبالأخص في المناطق التي ظهر فيها التصنيع مبكرا كمقاطعة (الريناني) في ألمانيا، ومنطقة (بلاد الغال) في بريطانيا.

وعلى هذا فإن ظروف ذلك العصر لم تكن لتدعو كارل ماركس إلى تحديد رأس مال من حيث هو آلة اجتماعية وإنما من حيث هو آلة سياسية فهو قد نظر إلى رأس المال من هذه الزاوية لأن أوضاع المجتمع وظروفه قد حتم عليه النظر، ويقابل هذا الحال الآن في سنة 1948م حال البلاد الاسلامية، فإنها تواجه مشكلة الرأسمالية، لأن رأس مال نفسه لم يتكون بعد في غالب تلك البلاد فالمشكلات التي كانت تعانيها أوروبا في ذلك التاريخ لا تهم العالم الاسلامي اليوم وعليه فإن القضية في البلاد الاسلامية ذات طابع يختلف تمام الاختلاف عن صورتها في أوروبا، وهذا ما حتم دراسة هذه المشكلات دراسة خاصة ومن ثم تحديد رأس مال ذاته، باعتباره آلة اجتماعية تنهض بالتقدم الاجتماعي المادي لا آلة سياسية في يد فئة رأسمالية كما عالجها ماركس ومدرسته.

يرى مالك بن نابي أنه لا بد من فهم قبل كل شيء كلمة "رأسمال" فهي ليست من مصطلحاتنا ولا هي من الشيء الذي تعودناه فهو ما نخلط بين شيئين مما يزيد ثروة الرأسمال.2

---

[1]–سورة هود، الآية 61.

2-مالك بن نبي ،شروط النهضة، مصدر سابق ،ص ص 117-118

ولتحديد كلا الاصطلاحين بالمعنى الاجتماعي نلاحظ أن الثروة يكمن فهمها من وجهتين في بلادنا.

أ- فبالنسبة إلى استعمال صاحبها لها، وهو يستعملها في إطاره الذي تقتضيه حرفته المحلية، وفي كلتا الحالتين تظهر الثروة معرفة لنا بطابع مكاسب الشخص غير متحركة وغير الداخلة في الدورة الاقتصادية فهي شيء محل مستقرة في حقل صاحبه.

فالثروة تقلب بقلب صاحبها، فرأسمال إنه ينفصل اسما عن صاحبه ويصبح قوة مالية مجردة. ومن خلال التوضيح لمعنى الثروة يسهل علينا تحديد معنى رأس المال فهو في جوهره: "المال المتحرك" الذي ينسج مجاله الاجتماعي بمقتضى حركته ونموه في محيط أكبر من محيط الفرد ولقد سجل التاريخ أن بدأ تكوين رأس المال قد ظهر مع ظهور الصناعات الميكانيكية، فحركة رأس المال تنقلها في البلاد النائية التي يستورد منها المواد الاولية يخلق حركة ونشاطا ويوظف الأيدي والعقول، فمن نتائج رأس المال في أوروبا خلق ظاهرتين اجتماعيتين:

1- طبقة العمال نتيجة للثروة الصناعية.
2- الاستعمار نتيجة للحاجة إلى التصدير والاستيراد.

وهكذا قضى التوسع الاقتصادي بأن لا يصبح المال قيمة صاحبه فقط.[1]

وعليه فغن في وتنا أن توجيه رأس المال لا يزال في طور التكوين في بلادنا لا يتصل أولا بالكم بل بالكيف فالرأس مالية قد انحرفت بتقديسها للحرية الفردية والتي يترتب عليها فقدان المجتمع لتماسكه القيمي والأخلاقي ولهذا نجد أن الاسلام قد وفر المجتمع حرمته بدرجة معقولة من الضمان تسمح لجميع أفراد المجتمع الاسلامي بالحياة الكريمة

[1]-**مالك ابن نبي، شروط النهضة**، مصدر سابق، ص ص117-120.

وفتح السبيل أمام كل فرد وحياة الانسان لا بد ان تحقق الغاية من وجودها في التقرب من الله عز وجل وابتغاء مرضاته بعدم البخل على الناس في حقوقهم وقدرتهم، فأحكام الشريعة الاسلامية ومعانيها ومبدؤها يتسم بالعدل والقسط.[1]لقوله تعالى: "وإذا حكمتم بين الناس أن أحكموا بالعدل".

II- التراب:

يرى مالك بن نابي أن الانسان وحده لا يستطيع أن يخلق تطور فالتراب أيضا يساهم في التقدم، وعليه فإن ارتفاع قيمة الأمة وحضارتها يكون سبيلا لتقدم ترابها وارتفاع قيمته، وحينما تكون الأمة متخلفة يكون التراب على قدر من الانحطاط ويقول في ذلك: "ومن التراب كل شيء على الأرض وفي باطنها ومعنى التراب هنا ليس المعنى المتبادر إلى الذهن فقد تعمدت أن لا أستخدم كلمة مادة للأسباب فقلت: "التراب" لأن التراب يتصل به الانسان وبحيويته ويتصل به بصورة الملكية أي من حيث تشرع الملكية في المجتمع الذي حقق للفرد الضمانات الاجتماعية".

فالتراب هنا شيء حيوي في المجتمع من حيث الشرع، وهو يتصل بصورة أخرى من ناحية عالم التراب والمعلومات التي به كالكيمياء، فالتراب هنا نحن به هذين الجانبين، جانب الشرع وجانب السيطرة الفنية و الاستخدام الفني.

فحينما يحدثنا مالك بن نبي عن العنصر الثاني في المعادلة وهو التراب، يرى أنه لا يبحث في خصائصه وطبيعته، ولكنه يتكلم عنه من قيمته الاجتماعية، وهذه القيمة الاجتماعية للتراب مستمدة من قيمة الملكية، ولهذا فإن قيمة التراب مرهونة بقيمة الأمة وذلك ليقرب لنا ابن النبي المقياس.2 إن التراب في الأرض في الاسلام على شيء من الانحطاط بسبب تأخر القوم الذي يعيشون فيه، ويقدم لنا مثلا لا من الجزائر، حيث أن

[1]–سليمان الخطيب، **فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي**، مرجع سابق، ص.ص 272-273 .
[2]–المرجع نفسه ،ص.82.

الأرض الزراعية فيها بدأت تتدهور شيئا فشيئا أمام غزو الصحراء، فالرمال تمتد في مناطق الرعي والأرض الخضراء وهكذا يذهب التراب سدا وهباءا.

وعلى طول الخط الذي يمتد من جنوب تونس إلى جنوب مراكش تتقدم الصحراء كل سنة، والسبب في ذلك دون شك يعود إلى الاقلال البالغ من الأشجار والغابات، وخاصة في الأعوام الأخيرة، وهذه الظاهرة الطبيعية أصبحت تعم كل البلاد الاسلامية وليست أرض البادية فقط وهذا التحول في الأرض الخصبة إلى فلات ثم صحراء يؤدي إلى تحول في الحياة الاقتصادية، فقد حول أولا حرفة البلاد من الزراعة إلى رعي الماشية ثم إلى لا شيء[1]وإن هذا الأمر لا يتعلق بالجزائر فقط لكن هناك دول اخرى تعرضت لمثل هذه المحن فواجهتها بكفاح وعبقرية.

لقد قامت فرنسا حوالي عام 1958م بغرس الأشجار الناحية الجنوبية الغربية من البلاد، حيث كانت رمال الشواطئ الاطلنطي تهدد مصالح أهلها وصحتها ولكن سكان تلك المنطقة بقوتهم وذكائهم وصبرهم وقفوا الرمال عن حدها، وتكبدوا في سبيل ذلك ما تكبدوا وقضوا عشرين سنة يسدون الطريق عن الرمال، من مدينة (بوردو) إلى مدينة (بباريتز)، و انتصروا على الرمال وكانت نتيجة انتصارهم أبعد مما كانوا يتوقعون، وكانت تلك المنطقة أفقر المناطق وأخطرها على الصحة في فرنسا، لكن نتيجة ما تمتعت به من الأشجار الكثيرة ذات حركة اقتصادية ممتازة فأصبحت أول منتج في العالم لزيت (ترينتين) المستخرج من تلك الأشجار، و أصبحت ملجأ صحيا للمرض من جميع أنحاء العالم.

وإن هذه القضية اليوم تشكل خطرا باعتبارها تمس كيان الفرد لا مصالح فقط لكن ليس هناك ياس من إصلاح ما نحن فيه ووقف خطر الموت، وذلك إلا عن طريق العمل

[1]–سليمان الخطيب ، مرجع سابق ، ص83.

الشاق، ومثال على ذلك الانتصار الذي سجله الانسان على عوامل الطبيعية الدائمة، الانسان، التراب، الوقت ومثل ما قامت به روسيا في هذا الميدان وهولندا التي تعتبر أكثر من ثلث بلادها مصنوعة بأيدي أهلها.[1]

III- الوقت: يعتبر الوقت نهر قديم يعبر العالم منذ الأزل فهو يمر خلال المدن ويغذي نشاطها بطاقاته الأبدية وهو الذي بتحديده يتحدد معنى التأثير والإنتاج وهو جوهر الحياة يصب في تاريخ تلك القيم، يعتبر نهر صامت حيث إننا ننساه أحيانا وتسمى الحضارات في ساعات الغفلة أو نشوة الحظ قيمته التي لا تعوض.

يقول مالك ابن نابي عن الزمن يمرض خلال المدن يغذي نشاطها بطاقاته الأبدية أو يذلل نموها بأنشودة الساعات التي تذهب هباء وهو يتدفق على السواء في أرض كل شعب وفي مجال كل فرد وهو يصير لدى البعض ثروة وفي مجال آخر يتحول عدما ويمزق من خلاله الحياة، وهذا ما ينطبق على العالم الاسلامي لا ينقصه معرفة شيء اسمه الوقت وغنما ينقصه إدراك معناه فلا ندرك قيمة أجزائه من ساعة ودقيقة وثانية ولا تجزئته الفنية فحظ الشعب العربي الاسلامي من الساعات كحظ أي شعب متحضر ولكن عندما يدق الناقوس مناديا الرجال والنساء والأطفال إلى جماعات العمل في البلاد المتحضرة فهنا هي المسألة لمؤلمة فالعالم الاسلامي يعرف شيئا يسمى الوقت فقط ولحد الآن لسنا نعرف فكرة الزمن الذي يتصل اتصالا وثيقا بالتاريخ باعتباره أن أول من ادرك هذه الفكرة الوثيقة بنهضة العلم المادي في عصرنا هو أبو حسن المراكشي.[2]

يرى مالك بن نابي كوسيلة لتثبيت فكرة الزمن عمليا في عقل المسلم من تعليم أفرادنا لمجتمع بتخصيص نصف ساعة يوميا لأداء واجب معين بطريقة منظمة وفعالة وهكذا تكون حوصلة كبيرة من الساعات انشغلت للصالح العام وبهذه الكيفية ترتفع كمية

---

[1]–مالك بن النبي، **شروط النهضة**، مصدر سابق ، ص 143.
[2]سليمان الخطيب، **فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي**، مرجع سابق، ص ص84-85.

الحصاد اليدوي والعقلي والروحي فينطبع أسلوب الحياة في المجتمع بهذه الفكرة وهكذا يستطيع الانسان المسلم أن يمتزج قيمة في التغلب على مشكلة التراب الذي هو مصدر عيشه واستقراره لا سبيل عنه كمشكلة التصحر التي أصبحت تهدد كيانه.[1]

وخير مثال على ذلك ألمانيا تفتح أبوابها بالقاهرة في شهر مارس 1957، التي بعثت من الموت والدمار إلى تشييد الصناعات الضخمة ولو حللنا هذه المعجزة المذهلة في شتى المجالات يعود إلى العامل المهم وهو الزمن فرضت الحكومة عام 1948م على كل الشعب الألماني نساء رجال وأطفال زيادة كل يوم ساعتين مجانية يقوم بها الفرد عن عمله للمصلحة العامة، وسمي هذا التجنيد العام **Roberte** a **Ribet** والعمل للمصلحة العامة.

[1] محمد البغدادي، **التربية والحضارة**، الجزائر، ط.2، 2007،ص.ص 134-135.

المبحث الثالث: معوقات الحضارة ومقوماتها في فكر مالك بن نبي.

لقد قام بن نابي بدراسة تحليلية نقدية لأهداف وإنجازات مجتمعه الاسلامي في محاولته للنهوض الحضاري وذلك حاول معرفة أسباب فشل وتخلف الامة العربية والاسلامية لتشخيص الدواء للداء حيث قل في ذلك: "فنحن مضطرون أحيانا إلى أن نفكر في النقص الذي أصاب الانسان، فقعد به عن ملاحقة توقيت التاريخ، وأن نفكر في سد هذا النقص" وهذا ما يثير السؤال الآتي:

ماهي المعوقات التي ظلت تقف حاجزا أمام مختلف المحاولات النهضوية للعالم العربي والاسلامي؟

وماهي سبل تجاوزها في فكر مالك بن نبي؟.

1- معوقات الحضارة:

من أهم الامراض التي ظلت تكبل حركة النهوض وتتمثل فيما يلي:

- الحرفة في الثقافة: والتي يقصد بها مالك بن نابي ظاهرة التعالم أو المتعاقل يرى بن نابي أنه قيل خمسين عاما كنا نعرف مرضا واحدا يمكن علاجه وهو الجهل والامية، لكننا اليوم أصبحنا نرى مرضا جديدا مستعصيا وهو (التعالم) ففي النصف الأخير من القرن، ظهر نموذجين من الأفراد في مجتمعنا وهما: حاملي المرفقات ذي الأطمار البالية، وحاملي اللافتات العلمية، فأصبحوا حاملي اللافتات العلمية يرو في الثقافة إلا المظهر التافه ويتخذون من ذلك طريق للشهرة وجلب الرزق وهذا النوع من الجهل أدهش من الجهل المطلق، فلا بد من إزالة هذا المرض ليصفوا الجو للطالب العاقل الجاد.[1]

[1]- مالك بن نبي، **مشكلة الثقافة**، مصدر سابق، ص.ص75-76.

- تحلل شبكة العلاقات الاجتماعية: فإن تفككت علاقات الأفراد فيما بينهم تسود سيادة النزعة الفردانية التي عكست معيار القيم، وتعارض مصالح الأفراد والجماعات فيما بينها الذي أحدث الاصطدام الداخلي وقضى على العمل التكاملي الجاد وأدى إلى إهدار الكثير من الطاقات الاجتماعية وصرفها فيما لا جدوى منه.

وتفكك الشبكة يؤدي إلى هلاك المجتمع ولا يبقى منه سوى ذكرى مدفونة في كتب التاريخ، وعليه فغن شبكة العلاقات الاجتماعية هي التي تؤمن بقاء المجتمع وتحفظ له شخصيته، وأنها التي تنظم طاقته الحيوية لتتيح له أن يؤدي نشاطه المشترك في التاريخ.[1]

- عدم تماسك عالم الأفكار: إن الأفكار السائدة في العالم الاسلامي اليوم فماهي إلا مزيج من الأفكار الميتة والأفكار القاتلة، فالعالم الذي لا تقم على الأفكار محكوم عليها بالزوال.[2]

- طغيان عالم الأشياء: عالم الأشياء هو كل ما يحيط بالأشياء من عوامل مادية وثقافية ففي عالمنا اليوم إذا أصبح الانسان يستمد مكانته الاجتماعية من كمية الاشياء التي يمتلكها ويتصرف فيها طغيان عالم الاشياء، فعالم أشيائنا يمكنه أن يستقيم إذا ما تتبعنا خطوات حذقة من أجل الوصول إلى مرحلة الاقتصاد المخطط.[3] وهذهالخطوة التي يعبر عنها القرآن في قضية المسغبة حيث قال الله تعالى: "فلا أقتحم العقبة، وما أدراك ما العقبة، فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة، يتيما ذا مقربة، أو مسكينا ذا متربة".[4]

- طغيان عالم الأشخاص: إن عالم الأشخاص هو العالم الذي يغير فيه الأفراد، بسبب شروط ثقافية إلا أن يكونوا عالما خاص بهم والذي هو في حقيقته إيجاد

---

[1]-مالك بن نبي، **ميلاد مجتمع**، مصدر سابق ،ص. ص42-82.
[2] -مالك بن نبي، **مشكلة الأفكار في العالم الاسلامي**، مصدر سابق، ص153.
[3]- د/الأخضر شريط، **مشكلة التاريخ في الحركة التاريخية**، مرجع سابق ، ص ص183-193.
[4] -سورة البلد، الآية 11، 12، 13، 14، 15، 16.

مناخ ثقافي، خاص للعلاقات الاجتماعية، ففي عالمنا اليوم أصبح عالم الأشخاص يتمثل في تمجيد الجماهير لذلك الشخص الكارزمي الذي يعتقدون أنه يمتلك جميع الحلول لمشكلاتهم اللصة، إلى درجة أن يتحول إلى وثن يعبد، إما خوفا وإنما طمعا، وإما انبهارا.[1]

– انحراف الممارسة السياسية: والذي يتجلى في ذلك الخداع والمكر والتضليل الذي يمارسه بعض الدجالون، لمغالطة أصحاب النوايا الطيبة من الجماهير، واستخدام جماجم الضعفاء كجسر للوصول إلى السلطة، والبقاء فيها، أصبحت السياسة تعرف فوضى أطلق عليها مالك بن نابي "البوليتيكا"، فأصبح العالم العربي والاسلامي يتخبط في الأوهام، والخرافات، وألوان المخاتلات التي تحول مصالح السياسيين، وشهواتهم، يقول بن نابي: "لو أننا تتبعنا التطور العام للسياسة الاسلامية، فلن نشعر بكل أسف، بأنها ترتكز على مبادئ تامة التحديد أو أصول واضحة ولن نجد لها غايات واقعية تخضع لنظرية تهديها سبيلها حتى تبلغ هدفها بطريقة علمية، بل لا نعثر في تلك السياسة على المبدأ الذي وضعه لها الباحث الرائد "جمال الدين الأفغاني" وأطلق عليه: الاخوة الاسلامية ليكون أساسا ضروريا لأية سياسة في البلاد الاسلامية.[2]

– الميل إلى التكديس: إن العالم العربي والاسلامي بدلا من البناء التكاملي لجأ إلى تكديس منتجات للحضارة الغربية، باعتباره أن المنتجات هي التي تصنع الحضارة، حيث اقتحم الزي طاروبي، والهاتف، والسيارة، وشتى مجالاتها، فإن الانسان العربي منذ قرون فقد القدرة على رؤية حقيقية الظواهر، فصار يكتفي بالقشرة، عجز عن فهم القرآن، واكتفى باستظهار منتجات الحضارة الغربية التي انهالت عليه، ففكر في كيفية استعمالها، ولم يفكر في كيفية إنتاجها، بل أصبح يكدس ولا يبني فقال بن نابي في هذا :

[1] - د. الاخضر شريط، **مشكلة التاريخ في الحركة التاريخية** ، مرجع سابق، ص ص 132-134.
[2] -مالك بن نبي، **وجهة العالم الاسلامي**، مصدر سابق ، ص 89.

"فقد أردنا بدل الاضطلاع بتشييد حضارة أن نقوم بتكديس منتجاتها، ولم يكن عمل النهضة الاسلامية طوال السنوات الخمسين الأخير، يمثل تشييدا، ولكن تكديسا للعتاد".[1]

- **القابلية للاستعمار:** والتي تعني عند مالك بن نابي تلك الحالة النفسية السلبية المتمثلة في الرضا بالعدم والاستسلام للهوان والعجز، عن مواجهة تحديات الواقع ومشكلات ليتنقل بعدها إلى الجانب الفكري، والذي حاول من خلاله كشف الغطاء عن أمراضنا الفكرية المتعددة، فهذا العامل يؤثر في الفرد ويبخص من قيمته الانسانية، والاجتماعية والذي يشتت ويفرق أفراد المجتمع وينحط أخلاقه ويشيع الرذيلة، ويغمر الأوساخ الذي يكون قطعا محتقرة.[2]

- **غياب الفعالية:** والذي يتمثل في الأمراض النفسية التي أصبحت في العالم العربي والاسلامي ويتميز، بتفكير إنسان ما بعد الموحدين، تفكير نظري غير مرتبط بأهداف عملية، وعدم استغلال الوقت ولمال بعقلانية واعية لأهدافها ووسائلها، كما سلبية المثقف العربي الذي لا يتفاعل مع هموم أمته فبدل من بناء المرحلي لجأ الإنسان إلى الجمود والركود في شتى المجالات.

- **غياب النقد الذاتي:** فالفرد العربي سواء كان من الاصلاحيين أو العلمانيين أو يعاني من عقدة رفض النقد الأمر الذي يجعله يتمادى في أخطائه من دون أن ينتبه إليها، ولذلك لا بد من توحيد الصفوف وحماية داء التعصب.

- **غياب الوعي المنهجي:** فالمعرفة الواسعة بسنن التغيير الاجتماعي هي العنصر المفتقد في الكثير من محاولاتنا النهضوية، بحيث نجهل حتى خصوصيات المرحلة التاريخية التي تمر بها أمتنا.

- **الاغتراب الزماني والمكاني:** يرى ابن النابي أن كل من دعاة الاصلاح والتحديث اتفقا على تجاهل واقع أمتهم كنقطة أساسية لبناء مشروعيهما النهضويين، فعاد

---

[1]- مالك بن نبي، **آفاق جزائرية**، مكتبة النهضة الجزائرية ، ط 1، 1964 ص ،ص 48-50.
[2]- مالك بن نبي،**شروط النهضة**، مصدر سابق، ص، ص 156 -157.

دعاة الاصلاح بأفكارهم إلى الماضي للتثبيت به والدفاع عنه دون تمحيص ولا نقد، وتمثل دعاة التحديث مذاهب فكرية غربية لها واقعها الخاص الذي نشأت فيه، وهذا ما أدى إلى الفوضى واصطدام الجهود مما عرقل السير في طريق النهوض.

ظلت هذه الأمراض الداخلية عاجزا خارجيا تنخر جسد الأمة العربية فكريا ونفسيا، واجتماعية، فالاستعمار يرفض أن يكون العبد سيدا يتحكم في قراراته بكل حرية ومسئولية، فهدفه السيطرة والظلم، ولهذا لا بد من ايجاد حلول للخروج من هذه الأمراض.

2- مقومات الحضارة:

إن نظرة مالك بن نبي للعالم العربي والاسلامي نظرة تلقائية وفلسفة أمل ومستقبل، فليس هناك شيء سهل وليس هناك شيء مستحيل، فلا بد من مواجهة المشكلات مستبشرين غير متشائمين، لأنه إذا واجهنا الأمور بالتشاؤم انعدمت فعاليتنا وتقلصت جهودنا، وعلى هذا الأساس، يرى "مالك بن نابي" لبناء حضارة وإعادة قيامها لا بد من تجاوز العوائق والمعوقات، ولتجاوزها لا بد من: إعادة تفعيل الدور الاجتماعي للدين: فلا بد من الرجوع إلى الأصل الأول، وهو الفكرة الدينية أو الاسلام الذي يبعث في الحياة من جديد في العناصر الراكدة، وتكسبها فعاليتها، ووعيا بمبررات وجودها، وعلينا أن ندرك بأنه: "لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها"، وعليه لا بد من العودة إلى الاسلام الصحيح، ولهذا يدعونا "مالك بن نابي" إلى ضرورة الاستفادة بمرحلة الروح، والمحافظة على استمرار الخطة الحضارية الأصيلة.[1]

- من التكديس إلى البناء: إن العالم الاسلامي بدأ يتجه إلى جمع المنتجات الحضارية أكثر مما يتجه إلى بناء حضارة وهو يسمى بالتكديس وما أسماه مالك بن نابي

[1] - سعدت جودت، **حتى يغيروا ما بأنفسهم**، تقديم مالك بن نبي، دمشق، مطبعة زيد بن ثابت الأنصاري ، ط 6، 1984، ص. 79.

بالحضارة الشيئية.[1] أي التكديس لا البناء، فالبناء هو الذي يأتي بالحضارة التي تكون منتجاتها بنفسها، وليست المنتجات هي التي تكون الحضارة، وفي هذا يقول مالك بن نابي: "إن علينا أن نأخذ من الحضارة الغربية الأدوات التي تلزم في بناء حضاراتنا... حتى يأتي بقوم نستطيع فيه الاستغناء عنها بمنتجاتها".[2]

- تفصيل الأفكار في البناء الحضاري: يعطي مالك بن نابي أهمية كبيرة للأفكار وتأثيرها على الفرد والمجتمع وبناء الحضارات، فالنجاح الفكري وسيلة للقضاء على الأفكار الميتة وتنقيتها وتصفيتها دون الأساس الاول لأي نهضة حقة.[3]

إن انحراف الفكرة عن مجراها يؤدي إلى عدم فعالية المجتمع مما يؤدي إلى تراكم الأفكار من جيل إلى جيل، ففي هذه الحالة تعتبر الأفكار الجراثيم التي تكون العدوى الاجتماعية.[4]

- **الفعالية:** يرى مالك بن نابي أن الفعالية للأفراد في المجتمع تعد إحدى خصائص العقل الغربي.[5] ولهذا لابد من فعاليتها وتحقيقها في العالم العربي والاسلامي، والتي تكون على مستوى الفردي، والاجتماعي، مما يؤدي إلى توليد ديناميكية اجتماعية، وذلك بالدخول في تخطيط منهجي لا يحتوي على خليط من الأفكار المتناقضة.[6] فإن التقدم والتأخر الحضاري يمكن أن يلاحظ الانسان من خلال ملاحظته لعامل الفعالية.[7]

- **التغيير:** للوصول إلى الحضارة المرجوة، فلا بد من التغييرين: تغيير القوم، وتغيير الله، فتغيير في النفس لدى الفرد أولا ويقول في هذا مالك بن نابي: "لتحقيق التغير لا بد من تغييرين، تغيير القوم، وتغيير الله، كما أنه لا بد من أسبقية التغيير الذي يحدثه

---

[1]- مالك بن نبي، **شروط النهضة**، مصدر سابق، ص. 48.
[2] -مالك بن نبي، **تأملات**، مصدر سابق، ص.ص 167- 170.
[3]- مالك بن نبي، **وجهة العالم الاسلامي**، مصدر سابق، ص.83.
[4] -مالك بن نبي، **مشكلة الأفكار**، مصدر سابق، ص158.
[5]- مالك بن نبي، **فكرة الافريقية الآسيوية** ،مصدر سابق، ص،19.
[6] -مالك بن نبي، **وجهة العالم الاسلامي**، مصدر سابق، ص. 97.
[7]- مالك بن نبي، **مشكلة الثقافة**،مصدر سابق، ص 61.

القوم، إلا أن التغيير الذي يقوم به القوم، قد سبق أن حدث لأن الله تعالى اشترك هذه الأسبقية... ولكن علينا أن ننتبه إلى أن هذا العهد إنما هو مجال القوم... لا مجال للفرد". وعلى هذا الأساس فإن المشكلة مشكلة الفرد لا دين، وهي مشكلة عامة في جميع البلاد الاسلامية.[1]

- بناء شبكة العلاقات الاجتماعية الممزقة: لا بد على الفرد بالقيام بجهود تربوية تغرس في ذات الفرد النزوع إلى الجماعة.
- توجيه الفعل السياسي وأخلاقياته: وهذا يستدعي مراجعة تصوراتنا النظرية وسلوكياتنا العلمية، اتجاه مسألة الحق والواجب.
- بناء الانسان الجديد غير القابل للاستعمار: وتكمن وظيفته في التعرف على ذاته بعقلانية ممحقة، كما يجب معرفة الآخر دون عقدة رفض ولا عقدة انبهار، حتى تفقد الانسان إنسانيته والتخلي عن هويته وأصالته.
- التأسيس للعمل المنهجي: كما يدعو بن نابي إلى توظيف المعرفة العلمية كأداة للنهوض وتجاوز تلك المرحلة التي تكتفي بالعلم كوسيلة لكسب القوت.
- يقترح بن نابي تأسيس علم الاجتماع خاص بمرحلة ما بعد الاستقلال ليكون أدا رقابة لممارسة النقد الذاتي، واستشراق المستقبل.
- الواقعية والابداع لتجاوز التقليد: إن نجاح العمل التغييري مرهون بانطلاقته من الواقع المعاش كأرضية أساسية للتصورات المر بطة بحل المشكلات التي تعانيها الأمة.[2]

[1]- سعيدت جودت، **حتى يغيروا ما بأنفسهم**، مرجع سابق، ص ،ص 79- 80.
[2] - عبد اللطيف عبادة، **صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي**، دار الشهاب، 1984 ،دون ط، ص ص 90- 91.

المبحث الرابع: محورية الانسان في التغيير الحضاري:

يعتبر مالك بن نابي بين المفكرين الذين وضعوا يدهم على الجرح الغائر للأمة العربية حيث تحدث عن وضع أمتنا المأسوي بسبب جمود فكرها واستسلامها باللامسوؤلية وتخليها عن تعاليم والعنصر الاساسي للحضارة وهو الانسان الذي يعتبر مشكل الحضارة حسب مالك بن نابي، ونصب حل اهتمامه بدراسة للإنسان ومن هنا نتساءل كيف نظر مالك بن نابي للإنسان؟ وهل الانسان قادر على مواكبة الركب الحضاري؟ وإذ كان كذلك ما السبيل في بناء انسان حضاري؟

إن للحضارة في فكر مالك بن نابي ثلاثة عناصر مركبة لها إلا أن أهم العناصر على الاطلاق هو الانسان، واعتبر مالك بن نابي أنه لا حضارة من خلال التراب والزمن، ما لم يكن هناك انسان قائد لمسيرة الحضارة، وأكد مالك بن نابي على موقع الرأس المال البشري في صناعة التحرر، والتقدم، والوحدة، فالإنسان هو الأصل في بلوغ الحضارة، وهذا أمر مستفاد من الاسلام والرسالات السماوية عموما، التي استهدفت بالدرجة الأولى، رفع شرف الانسان وتحقيق كرامته وسعادته، في قوله تعالى: "ولقد كرمنا بني آدم وحملناه في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا".[1]

لقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يكون الانسان خليفته في الأرض، ليقوم بوظيفة الخلافة وعمارة الأرض، في قوله تعالى: "إذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما ا تعلمون".[2]

وقد حدد الله أهداف الإنسان في هذه الحياة ورسم له طريق النجاة، فقال في محكم كتابه: "واتبع فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا".[3]

---

[1]–سورة الاسراء، الآية 70.
[2]–سورة البقرة، الآية 30.
[3]–سورة القصص، الآية 77.

فهل هذه المبررات في نظر مالك بن نابي لوجود الانسان المسلم ومكنته من بناء حضارة بسرعة مذهلة.

فالإنسان هو الجهاز الأول للحضارة، فإذا تحرك الانسان تحرك المجتمع والتاريخ، يقول ذلك مالك بن نابي: "فإذا تحرك الانسان تحرك المجتمع والتاريخ، وإذا سكن، سكن التاريخ والمجتمع".[1] ويضرب لنا مالك بن نابي مثالا في ذلك من بلد أوروبي "كبلجيكا، حيث نجد الرجل لا يتمتع بتوازن اقتصادي في حياته، فهذا الاضطراب نتج عن عدم الملائمة بين حاجاته، وتيار الانتاج الصناعي المسرع، ومن هنا تنشأ مشكلة اجتماعية يعيشها شعب بلجيكا، وهي مشكلة (الحركة)".[2] وهذه المشكلة راجعة في أساسها إلى مشكلة الانسان المستوطن فيها، والذي عزفه عن الحركة، ومال إلى القعود والجمود في شتى المجالات مما أدى به إلى التراجع والانحطاط.

وهذا التغيير كله ينطلق من تغيير النفس الانسانية، فلا نغير الآخر إلا إذا غيرنا أنفسنا، ولذلك وجه مالك بن نابي خطابه قائلا: "إنها لشرعة السماء, غير نفسك تغير التاريخ".[3]

كما كان مالك بن نابي يستشهد بقول الله تعالى: "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم".[4]

وعليه فإن القضية ليست قضية أدوات، وإمكانيات وإنما القضية في أنفسنا، ولهذا لا بد من دراسة الجهاز الأول، وهو الانسان وتحويله إلى انسان فقال صانع للحضارة.

وبناءا على مدى تكريم الاسلام للإنسان، ودور الفرد في المجتمع قسم لا مالك بن نابي للإنسان على ثلاثة أصناف أو مراحل والتي نجدها في كتاب مقومات مشروع بناء إنسان الحضارة في فكر مالك بن نابي، للدكتور عمر النقيب والتي تتمثل في:

---

[1]–مالك بن نبي، **تأملات**، مصدر سابق، ص.129.
[2]–مالك بن نبي، **شروط النهضة**، مصدر سابق، ص. 81.
[3]–المصدر نفسه ،ص.35
[4]سورة الرعد، الآية 11.

1- **إنسان ما قبل الحضارة:** "وهو الفرد الخام في حالة الفطرة أين يتعامل مع غرائزه كما خلق بها، فهو الانسان الطبيعي (Homo Natura) أو الانسان الفطرة".[1]

أي الإنسان الطبيعي أو الانسان الفطرة، فهذا الإنسان البدائي يتعامل مع غرائزه كما ولد بها، فهي التي توجه سلوكه، فينصب اهتمامه على حفظ البقاء، إلا أنه يتمتع بطاقة حيوية تأهله للقيام بوظيفة التاريخية، والدخول في دورة حضارة جديدة، ويرجع الدور إلى الفكرة الدينية في تفعيل طاقته الحيوية.

2- **إنسان الحضارة:** بعد المرحلة الاولى وهي مرحلة الغريزة والفطرة، انتقل الانسان إلى مرحلة إنسان الحضارة أي: مرحلة الإنسان المتكامل كما أشار في ذلك: "قد استكمل مواصفات الانسان المتكامل، فهو الذي يبدأ به التاريخ، أي: الدورة الحضارية الجديدة [2] ، وهو الذي تم تكيفه بالمناهج التربوية النابعة من خصوصية المجتمع، فوجهة طاقاته لأداء وظيفة التاريخية الحضارية، وبنيت خصائصه ومميزاته، تبعا للخصوصية الثقافية للمجتمع، ومن هنا أصبح الإنسان مؤهلا في مجتمعه، وذلك حسب دوره وموقفه، ومن خلال ذلك تجسدت فيه خصائص الفرد المنشود داخل المجتمع، والتي نظمت علاقاته الاجتماعية، بما ينسجم مع خدمة المجتمع، وهكذا يكون الفرد من وجود بالقوة إلى الوجود بالقول.

3- **إنسان ما بعد الحضارة:** وهو الإنسان المتفسخ حضاريا: "أما إنسان ما بعد الحضارة فهو إنسان متحلل، قد تفسخ حضاريا وسلبت منه الحضارة، ولم يعد ذلك يحكم ذلك قابلا لإنجاز أي فعل حضاري".[3]

حيث في هذه المرحلة عرف الإنسان تحللا في العلاقات الاجتماعية والذي اصطلح عليه مالك بن نابي: "إنسان ما بعد الموحدين"[4]، فأصبح عاجزا عن أداء وظيفته، وحل مشكلاته، فهذه المرحلة أخطر حالات تضخم الأنا، وتكون سببا في الأمراض

---

[1]-د. عمر النقيب، **مقومات مشروع بناء انسان الحضارة في فكر مالك بن نبي التربوي**، الشركة الجزائرية اللبنانية، ط. 1، 2009، ص.75.

[2]-د. المرجع نفسه، ص. 77.

[3]-د. المرجع نفسه ،ص. 76.

[4]-محمد بغداد باي، **التربية والحضارة**، مرجع سابق، ص. 84.

الاجتماعية، كالتقليد والانحلال الخلقي، وغياب القوانين، والأعظم من هذا فقدان الوعي الحضاري.

الإنسان كائن حضاري يتلون بلون الحضارة، فهي منه وإليه وهو منتجها، والمستفيد منها وهو المرآة العاكسة لها والعاكسة له، تقوى بقوته وتضعف بضعفه والسؤال المطروح: ما دور الإنسان في بناء حضارة؟ وكيف يمكن الوصول إلى إنسان متكامل صانع للحضارة؟.

إن الوصول لهذا النوع من الإنسان ليس بالأمر اليسير، فإعداده وتجهيزه قد يحتاج منا إلى إعداد وتربية، وتنشئة سليمة، كي تستقيم مسيرة حياته، ومن أجل أن تكون عنده الأهلية لأداء دور، ولذلك يجب عليه أن يسبق عملية تكديس الثروات، وتجميع المقتنيات من أجل تنمية موهبة وقدراته، وتعويده أن يقرر القول بالفعل عندها يسير مسار الإصلاح والنهضة، وقال مالك بن نابي: "فالثروة لا تستطيع الوصول إلى أهدافها إذا لم تغير الإنسان بطريقة لا رجعية من حيث سلوكه وأفكاره وكلماته".[1]

ومنه فإن دور الإنسان في مجتمعه هو أن يؤثر فيه بثلاث مؤثرات رئيسية وهي:

أن يؤثر بفكره، وعمله وماله فيؤثر بفكره من خلال ضرورة توجيه الثقافة، وبعمله من خلال توجيه العمل حتى نكسب لأنفسنا قوة في الأساس والمسايرة، ووحدة الهدف وتجنب الإسراف في الجهد والزمن أماما له فهو ضرورة توجيه رأس المال.[2]

وعلى هذا الأساس فإن دور الإنسان أن يكون فعالا في مجتمعه أي كان فهو مرهون به، كما قال أحد المفكرين: "يحمل طقسه معه، أي كان أن يكون مشمسا أو ممطرا".[3]

وللوصول إلى هذا الإنسان الفعال ومحقق حضارة ويسعى لبلوغ الهدف عن طريق: التربية والتعليم.

---

[1]-مالك بن نبي، **بين الرشاد والتيه** دار الفكر ، دمشق ، ط1 ،1978 ، ص46.
[2]-مالك بن نبي، **شروط النهضة**، مصدر سابق، ص.84.
[3]-مالك بن نبي، **تأملات**، مصدر سابق، ص.129.

1- التربية:

قبل تطرقنا إلى كيفية تربية انسان صانع للحضارة لا بد من تحديد مصطلح التربية، حيث يشير معجم لسن العرب أن التربية من حيث الأصل اللغوي ترجع إلى ثلاثة جذور:

الأول: (رب) من قولهم: (ربيعة): متنته، ربيعة: دهنته وأصلحته، وربيتها: ذاتها وزادها وأتمها وأصلحها، وربه يربه: يكفل بأمره، ورباه تربية: أحسن القيام عليه حتى يفارق الطفولة.

الثاني: (ربو) من قولهم: رب الشيء، يربو ربوا: زاد ونما.

الثالث: (ربي) من قولهم: ربيت رباء وربيا، أربى ربا، ومعناه أيضا نشأت فيهم.[1]

ومن خلال ذلك فإن مفهوم التربية لغة يقصد به اصلاح الفرد وتنشئته على الصلاح في كل ما يتعلق بالإنسان من جوانبه المتعددة: الروح والقلب والعقل، أما التربية عند مالك بن نابي هي، "عملية" تثقيف متواصلة".[2] وتتمثل هذه العلمية في: ذلك المحتوى النفسي الذي يتأسس على تركيب عناصر الثقافة المجتمع في بنية شخصية الفرد، بل هي عملية ديناميكية متطورة مع تطور المجتمع.

وعليه يقول مالك بن نابي: "ليس الهدف من التربية أن نعلم الناس أن يقولوا أو يكتبوا أشياء جميلة، ولكن الهدف أن نعلم كل فرد فن الحياة مع زملائه، أهنى: أن نعلمه كيف يتحضر".[3]

وإن لبناء إنسان تربويا لا بد من إعداده فكريا وأخلاقيا وجماليا وعمليا من أجل تحقيق أهداف تربوية إنسانية، ومنها نجد:

---

[1]-ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم، **لسان العرب**، دار صادر، تونس، 2003، ص.119.
[2]-محمد بغداد باي، **التربية والحضارة**، بحث في مفهوم التربية طبيعة علاقتها بالحضارة في تصور مالك بن نبي، دار عالم الأفكار، الجزائر، ط.1، 2006، ص.217،215.
[3]-مالك بن نبي، **ميلاد مجتمع**، مرجع سابق، ص. 99.

1- **التربية الأيديولوجية (المفهومية):** والمقصود بالأيديولوجية أو التربية المفهومية والمنظومة الفكرية هي: "مجموعة الأفكار والمفاهيم التي تنتشر في ثقافة ما وتشكل إطارها المرجعي[1]، "وتتعلق الإيديولوجيا أو المفهومية بالمنظومة الفكرية المؤطرة للمجتمع"[2]حيث تحدد طبيعة علاقة الأفكار التي يحملها الانسان بالمعتقد الديني والذي اعتبره مالك بن نابي "ظاهرة كونية تتحكم في فكر الانسان وحضارته، كما تتحكم الجاذبية المادة وتتحكم في تطورها"[3]، وعليه فإن الفكرة الدينية تنظم سلوك الانسان وتقوي العلاقات الاجتماعية وعلى هذا يصف مالك بن نابي العنصر الديني بوصفه "عامل تنظيم نفسي فضلا على أنه يغذي الجذور النفسية العامة، يتدخل مباشرة في الشخصية التي تكون الانا الواعية في الفرد، في تنظيم الطاقة الحيوية التي تصفها الغرائز في خدمة الأنا".[4]

وعليه فإن التربية الإيديولوجية أو المفهومية تختص بالجانب الفكري (المفاهيمي) لدى الإنسان في تطوير فكره وتكوين وعيه النوعي، يعتبر أساس في بناء الإنسان لا يمكن إهماله وتجاهله "فالوعي بالذات كذات مغايرة لها خصوصياتها الثقافية والحضارية"

وعليه يمكن القول أن وظيفة التربية الإيديولوجية تقوم بوظيفتين: وظيفة تنبيهية وتحريضية: "فالوظيفة التنبيهية تنبه الذات بسلبيتها بهويتها وبإمكانياتها المادية والمعنوية، وتنهيها بالخطر الذي يهدد وجودها كذات قائمة.

والوظيفة التحريضية، تحرض الذات على اختيار التغيير الإداري كبديل لا نقاش فيه لأوضاعنا السيئة بغية دفع المخاطر المحدقة بمصيرها".[5]

فالتربية الإيديولوجية أو المفهومية تعد أساسا في بناء انسان تربوي يفي احداث فراغ فكري فيصرح مالك بن نابي قائلا: "كل فراغ ايديولوجي لا تشغله أفكارنا، ينتظر أفكارا منافية لنا".[1]

---

[1]-حسن صعب، **الانسان هو الرأسمال**، مقال منشور بمجلة عالم الأفكار، مجلد 2، العدد 4، وزارة الاعلام، الكويت، 1972، ص. 128.

[2]-محمد سيلا، **الإيديولوجيا نحو نظرة متكاملة**، المركز الثقافي العربي، ط.1، 1992، ص.14.

[3]-مالك بن نبي، **الظاهرة القرآنية**، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط.4، 1987، ص.300.

[4]-د. عمر النقيب، **مقومات مشروع بناء انسان الحضارة**، مرجع سابق، ص.70.

[5]-محمد بغداد باي، **التربية والحضارة**، مرجع سابق، ص.149، 150.

2- **التربية الأخلاقية:** تعتبر الأخلاق مبدأ أساسي في تربية الانسان وتقويمه، حيث نجد أن القرآن الكريم مليء بالحث على مكارم الأخلاق في قوله تعالى: "وأنك لعلى خلق عظيم".[2]تمثل الاخلاق عند مالك بن نابي دستور الميل العليا التي تجد مادتها في الدين وهي عامل الربط والجمع "وأصل هذا الربط هو الطبيعة الإلزامية للقيم المشتملة في الدين"[3]، فالتربية الخلقية تقوم بعملية تشكيل "الشخص" فإنها لا تسعى إلى طمس الطاقات الحيوية الفردية فيه، بل تشرطها وتكييفها".[4]

فالتربية الخلقية تعمل على تهذيب وتوجيه الفرد نفسيا واجتماعيا وذلك بدافع ضميره التي تعكس سلوكاته، وكما انها تساهم في تشكيل شبكة العلاقات الاجتماعية حسب مالك بن نابي: "وإذا كان تشكل شبكة العلاقات الاجتماعية هذا يعبر عن مجموع الأفراد المكيفين في المجتمع، فإنه في ذات الوقت يدل على تكوين عالم الأشخاص، وعالم الأفكار، وعالم الأشياء".[5] فالأخلاق أساس بناء الانسان وإعداده فإذا غلبت الأخلاق غابت إنسانية الانسان وغاب التكافل الاجتماعي وانحل المجتمع وساد الفساد واندثر الاصلاح وهذا ما يشير إليه قول الشاعر أحمد شوقي: "إنما الأمم الأخلاق ما بقية ... فإذا ذهبت أخلاقهم ذهبوا".

3- **التربية الجمالية:** إن الحديث عن المبدأ لا ينفك الحديث عن المبدأ الأخلاقي عد مالك بن نابي، ذلك "إن المبدأ الجمالي، شأنه شان المبدأ الأخلاقي، والتي يعد من الدعامات الأساسية التي يتأسس عليها البرنامج التربوي للثقافة كما يصوره مالك بن نابي"[6]، وتبرز هذه العلاقة بينهما من خلال: "اعتبار الإحسان، (الذي هو قيمة أخلاقية)، صورة نفسه للجمال، وهكذا "فالذوق الجميل الذي ينطبع فيه فكر الفرد يجد الانسان في نفسه نزوعا إلى الاحسان في العمل، وتوخيا للكريه من العادات".[7]

---

[1]-مالك بن نبي، **انتاج المستشرقين وأثره في الفكر الاسلامي الحديث**، دار الرشاد، بيروت، ط.1، 1969، ص.45.
[2]-سورة القلم، الآية 68.
[3]-محمد بغداد باي، **التربية والحضارة**، مرجع سابق، ص.151.
[4]-مالك بن نبي، **ميلاد مجتمع**، مصدر سابق، ص ،100 .
[5]-محمد البغدادي، **التربية والحضارة**، مرجع سابق، 153.
[6]-المرجع نفسه، ص.153.
[7]-مالك بن نبي، **شروط النهضة**، مصدر سابق،97، 98.

ومن خلال ذلك تظهر العلاقة بين هذين المبدئين من خلال المعادلة التالية:

"مبدأ أخلاقي + ذوق جمالي = اتجاه حضارة".[1]

فإن الذوق الجمالي يعتبر من اهم مكونات الانسان، فغيابه عن المحيط الاجتماعي والثقافي يؤدي إلى انتشار الأوساخ والروائح الكريهة والأصوات المزعجة، وتعم الفوضى وتصطدم الناس فيما بينهم وتنعكس في نفسية الأفراد والمجتمع وتصرفاتهم سلبيا، إذن "المجتمع الذي ينطوي على صورة قبيحة، لا بد أن يظهر أثر هذه الصورة في أفكاره وإعماله ومساعيه".[2] ومن هنا تظهر أهمية التربية الجمالية في تأسيس النظام العام في النفس والمجتمع، فالتربية الجمالية مطلب إلهي، فعلى الإنسان أن يكون جميل اللباس والمأكل والمشرب وجميل الكلام فعليه أن يتحلى بالتربية الجمالية في شتى مجالاته وشتى معاملاته لكي تستقيم الحياة ويصبو الإنسان إلى بلوغ أسمى الأهداف.

يشير الحديث النبوي: "إن الله جميل يحب الجمال".[3]

4- **التربية العملية:** والتي يقصد بها ذلك "المنطق العملي الذي يربط العمل بوسائله وأهدافه"[4]، وتكمن أهميتها في "تحويل الفكرة إلى واقع مجسد"[5] على أرض الواقع الواقع وهذا ما ينقص إنسان العالم العربي والإسلامي اليوم، الذي أصبح يتكلم بمبادئ الإسلام فقط ولا يعيش طبقا لها ولا يجسدها على الواقع، فأصبح الإسلام مبدأ دون تطبيق، فلا بد من إنجاز الأعمال المطالب بأدائها لتحقيق المنفعة العامة وذلك بتكوين عقله الذي يمكنه من إصدار أحكام صحيحة وموضوعية على الأشياء التي يتعامل معها حتى يتغلب عليها فيصبح "لا يستسهل ولا يستصعب شيئا دون مقياس".[6]

---

[1]-مالك بن نبي، **شروط النهضة**، مصدر سابق، ص ،108.
[2]-مالك بن نبي، **شروط النهضة**، مصدر سابق، ص ،97.
[3]-رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.
[4]-مالك بن نبي، **مشكلة الثقافة**، مصدر سابق، ص ،85.
[5]-المصدر نفسه، ص.87.
[6]-محمد البغدادي، **التربية والحضارة**، مرجع سابق، ص ،151.

التعليم: إن التعليم وسيلة من وسائل التمكين في الأرض، فيه تتفوق الشعوب المتحضرة وبه نقود العالم ونستطيع اللحاق بركب الحضارة وسايرتها، حيث نلاحظ أول كلمة نزلت في القرآن الكريم هي كلمة "اقرأ" من سورة العلق، فإن أول ما طلب من الناس أجمع هو العلم، قبل العبادة وغيرها من الأشياء، وكما أشار الرسول (صلى الله عليه وسلم): "أطلبوا العلم من المهد إلى اللحد".[1] وقال الله سبحانه وتعالى: "علم الانسان ما لم يعلم"[2]، وفي كتابه العزيز: "قل هل يستوي اللذين يعلمون والذين لا يعلمون".[3] ولهذا نجد مالك بن نابي يحث كثيرا على تعليم الانسان والذي يعتبر هو أساس بناء هذه الأمة، ومن مظاهر التمكين التي يقدمها العلم حسب مالك بن نابي: "إن نظام العالم المعاصر العلمي والتكنولوجي الذي قامت منظومته الفكرية والثقافية على المنهج الرياضي والتجريبي، حصل على قدرات إجرائية هائلة زودته من مظاهر التمكين والتنبؤ والتحكم والتصرف، فالتنبؤ يجعل الانسان ينجم معرفة جيدة بالقوانين التي تتحكم في الظواهر".[4]

فإذا كانت مشكلة الجهل تمس صميم عملية التغيير فإن العلم والتعليم مازالت تحكمه الاعتبارات التقليدية، وأصبح العلم بعيدا عن إنشاء انسان صانع للحضارة حيث أصبح تكديسا للمعرفة الانسانية وليس بناءا "أصبح العلم بعيدا عن الأسس المدرسي الجامعي الذي يستهدف التكديس المعرفي" [5]حيث أصبح العالم العربي والاسلامي من الطبقة المتعلقة يتنافسون من أجل الحصول على الشهادات والمناصب العليا، وهذا ما يطلق عليه مالك بن نابي "بالحرفية في الثقافة".[6] "إن العلم والتكنولوجيا تتقدم، فكل شيء ينطلق ينطلق ويقلع، والانسان يدفع الثمن ويعيش في الموجة الحائرة"[7]، وعل هذا الأساس يرى مالك بن نابي يجب إعادة النظر في مناهج التعليم وأهداف اكتساب العلم في ضوء هدف مركزي، وهو صناعة الانسان الجديد وتغيير معادلة الشخصية الراكدة "وأن هدف التعليم

---

[1]-حديث شريف رواه مسلم.
[2]-سورة العلق، الآية 5.
[3]-سورة الزمر، الآية 09.
[4]-عبد اللطيف **عبادة**، **فقه التغيير**، مرجع سابق، ص ،52.
[5]-المرجع نفسه، ص.59، 60.
[6]-مالك بن نبي، **شروط النهضة**، مصدر سابق، ص ،90.
[7]-سلمان الخطيب، **فلسفة الحضارة**، مرجع سابق، ص ،203.

ليس فقط اكتساب العلم النظري المجرد"[1] ولهذا فغنه لا بد من التركيز على التربية السلوكية التي تستهدف بعث قيم الفعالية وتنمية الوعي من أجل إيقاظ ضمير الإنسان "إن العلم دون ضمير ما هو سوى خراب الروح"[2] ، أما في العالم العربي قد غاب ضمير الإنسان وتلاشى وخير دليل على ذلك ما تعانيه الأمة العربية والإسلامية" إن العلم والضمير قد تطالقا"[3]، ولهذا يرى مالك بن نابي لا بد من إعادة النظر في ذلك ونائه من أجل بناء إنسان جديد وتغيره، وذلك من خلال وضع البر امج التعليمية، لأن إضافة معلومات للإنسان لا ينفع وإنما لا بد من عملية تصفية نفسية بعالم النفس وبعالم العقل والفكر وعالم الأشياء، وهذا التغير والتعليم يكون في إطار القيم الأخلاقية لأن غياب الأخلاق عن العلم يؤدي إلى هدم الإنسان وليس بناءه وخاصة مع تطور التكنولوجيا ووسائل الإعلام" إن انفصال العلم عن القيم الأخلاقية ينجم عنه ظهور الآثار والاتجاهات السلوكية الخطيرة الضارة اجتماعيا وإنسانيا، وتتطبع حياة الإنسان الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بمنطق مادي صرف خال من كل معنى للخير والفضيلة والإنسانية".[4] ومنه فإن العلم متصل بالقرآن والأخلاق ولهذا فإنه يرفع من قيمة الإنسان ويسهل له الطريق لبلوغ الأهداف باعتبار أن العلماء ورثة الأنبياء وهذا ما يشير إليه الحديث الشريف:" إن العلماء ورثة الانبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وفير".[5]

---

[1]-عبد اللطيف عبادة، مرجع سابق، ص.59.

[2]-مالك بن نبي، **بين الرشاد والتيه** ، مصدر سابق، ص. 60، 65.

[3]-سليمان الخطيب، مرجع سابق، ص.202.

[4]-المرجع نفسه، ص.61.

[5]-حديث شريف رواه أبو داود والترميذي.

الفصل الثالث:

الإصلاح والتغيير في فكر مالك بن نابي.

المبحث الأول: إسهامات مالك بن النبي الإصلاحية في العالم العربي والإسلامي.

إن الوضع الفكري والثقافي والاقتصادي والسياسي الذي تعيشه المجتمعات الإسلامية وأزمة اللاوعي شكلت في أوساطنا المرض العضال الذي يحتاج لتكثيف الجهود من أجل القضاء عليه، لتغيير وضع الأمة العربية الإسلامية مما هي عليه الآن، ولا نستطيع أن ننكر أن الاستقلال الذي خلته الشعوب الإسلامية مازال استقلالا مفرغا في كثير من المحتوى الآن الاستعمار مازالت جذوره ضاربة في بنيتها النفسية و الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، صحيح أنها تخلصت من الاستعمار المباشر العسكري، ولكنها لا زالت تعاني من الاستعمار الغير المباشر هو الذي ضرب سياجه في شتى المجالات، فشخصية الفكر الإسلامي لم تكتمل بعد ولم يظفر بعد بحقه في السيطرة على وجوه الحياة وبقيمته، وهذا مما دفع مالك بن نابي إلى الآتي: فيما تكمن إسهامات مالك ابن نابي الإصلاحية في العالم العربي والإسلامي المعاصر؟.

تبلورت فكرة الإصلاح والتغير في عصر النهضة عند الشيخ "جمال الدين الأفغاني" والشيخ "محمد عبده" وفي الجزائر عند الشيخ "عبد الحميد بن باديس" و "مالك بن نابي" ولكل مصطلح نظرته ومفهومه الخاص به حسب بيئته وثقافته وعقليته ولذلك فالإصلاح يعتمد إما على الجانب السياسي أو الجانب العلمي والديني أو الجانبين معا ونحاول من خلال ذلك ضبط مفهوم الإصلاح والتغيير.

الإصلاح: فإن عبارة الإصلاح قد وردت في العديد من المواضيع القرآنية نذكر منها مثالا على ذلك: قوله تعالى: "إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله".[1] ويقصد به في هذه الآية إرادة الإصلاح العام فيما أمر به الله وفيما نهى منه، أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقوله تعالى أيضا: "وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون".[2]

والمعنى المقصود أن الله أهلكهم فاسدين فاسقين ظالمين.

---

[1] سورة هود، الآية 88.
[2] سورة هود، الآية 177.

أما مفهوم الإصلاح والتغيير "عند مالك بن نبي" يتوقف على جملة من العوامل والشروط التي نشتقها من تلك المعادلة البسيطة التي وضعها ولمتمثلة في:

حضارة= إنسان+تراب+وقت.

ومن هنا يمكن القول أن التغيير عند مالك ابن النبي هو ما يسمى بالحركة: "أي الجماعة التي تتغير وتتحرك، فهناك وسط إنساني يحتوي على عامل أساسي يقهر الجمود والخمول بينما يحول الخمول إلى قيم ديناميكية حركية" وهذه الحركة حسب مالك ابن نابي تؤدي إما إلى شكل راق من أشكال الحياة الاجتماعية وإما أن نسوقها على عكس ذلك وضع متخلف ومنهار ومنه لكل عصر قضاياه ومشكلاته ومتطلباته ومن خلال ذلك يجد الانسان نفسه أمام تحديات الشروط اللازمة لمواجهتها بموضوعية والتي تتجلى فيها إرادة الانسان في حل هذه المشكلات ومن بين مشكلات هذا العصر معناه الإنسان المتحضر الذي فقد القدرة على التحكم في نفسه وسيطرت عليه الغرائز والأهواء وصار حبيس عواطفه ومشاعره وابتعد عن العقل والروح وهذا ما دفع المفكر الجزائري مالك بن نابي رحمه الله إلى معالجة هذ المشكلات في إطارها الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والنفسي ونحن نتوجه إلى التغيير النفساني بداية.

1- التغيير النفسي:

يرى مالك بن نابي أن أزمتنا اليوم ليست الإسلام بل هي أزمة المسلم في هذا العصر الذي لا يزال في الانطواء والإحباط النفسي والضعف أمام ضرورات التطور والحياة، فبقدر ما تستطيع النهضة بناء نفسية الإنسان في شتى المجالات بقدر ما تستطيع أن تجعل الإسلام قادرا على الحركة ويرى ابن نابي أن التغيير في شتى المجالات إنما ينطلق من التغيير الداخلي.[1]

وينطلق ابن نابي في ذلك في فقه التغيير من القرآن الكريم بقوله تعالى: "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سواء فلا مرد له ومالهم من دونه

[1] عبد اللطيف عبادة، **فقه التغيير في فكر مالك بن نبي** ،مرجع سابق، ص ، 103.

من وال".[1] حيث يعتقد البعض من أفراد ما يسمى بالمجتمع المدني عندنا أن الجانب المادي والاقتصادي هو كل شيء، ولكن فإن تغيير في الاتجاه الحسن تحسنت أحوال الناس وإذا تغير في الاتجاه السيئ تردت أحوال الناس بل يسخرون من كل من يعتقد أن أحوال الناس مرهونة أساسا بمعنوياتهم وأخلاقهم ومعتقداتهم، ويسخرون من قول الشاعر "إنما الأمم الأخلاق".[2] ومنه فإذا ما تغيرت الأنفس تغير المجتمع وتحول مجرى التاريخ وتستمد النفس قوتها وطاقتها عند الإنسان المسلم من روحها وهو ما يسميه ابن نابي "البذرة الدينية" التي تعمل على صفائها ونقائها من الأهواء والغرائز التي تهدد كيان القدر ومجتمعه، فإن النفس إذا ما طغى عليها جانب من الجانب الآخر فقدت توازنها ولهذا لا بد من الحفاظ على سلطة الغريزة والضمير معا فإذا حدث خلل بينهما يؤدي إلى حالة مرضية تعرف في التحليل النفسي "بالكبت" وفي هذا يقول ابن نابي "فنفسية الفرد في المجتمعات التاريخية على الأقل مفعمة بالنزعة الدينية تلك التي تعد جزء من طبيعة وهو ما جعل علم الاجتماع يعرف الإنسان بأنه حيوان ديني وهو بذلك يحدد جانبا من الأساس النفسي العام في أفراد النوع وكل فرد يبني شخصيته على هذا الأساس".[3]ومنه فإن الإنسان المسلم أو " الجديد" كما يسميه مالك بن نابي أن يغير من وضعه النفسي الحالي فتكون حينئذ لديه الريادة والقيادة من جديد لإعادة بناء صرح أمته والبشرية معا ولن يكون ذلك إلا من خلال استخدام المسلم عقله بقيادة ضميره ويخضع غرائزه له أي التوفيق بين جانبه البيولوجي وجانبه الفكري وفي هذا يقول مالك ابن نابي "فالإنسان يجب أن يشرب ويأكل وينسل ويملك ويكافح من اجل استمرار النوع ولكن أن يراقب هذه الأعمال الأولية جميعها وأن يوجهها لغايات تتفق وتقدم النوع، وهو بهذه الطريقة يشترك واقعيا في عمل الله عز وجل ومع ذلك فهو محكوم إذا ما نظرنا إلى الامر من الوجهة الدينية تبعا لهذا الاشتراك المنوط بتكليفه الديني أعني تبعا لخضوعه لقانون التقدم الأخلاقي فإن ما حملته طبيعته على العمل فغن ضميره هو الذي يعطي لعمله معنا تاريخيا واخلاقيا.[4]

---

[1] سورة الرعد، الآية 11.

[2] **فقه التغيير عند مالك بن نبي**، مرجع سابق، ص ،105.

[3] مالك بن نبي، **ميلاد المجتمع**، مصدر سابق، ص، 64.

[4] المصدر نفسه، ص، 65.

وقد تصور "مالك بن نابي" النفس البشرية ومختلف الدوافع لسلوك الإنسان من خلال ما تقتضيه الحكمة الإلهية في كونه متكون من جانبين تقابلين.

الأول: وهو الجانب المادي أو الشهواني الذي يشترك فيه الإنسان مع الحيوانات ولكنه يختلف في أسلوب الممارسة والأهداف.

الثاني: وهو الجانب الروحي المتمثل في الروح اللاهية التي تعلوا الإنسان إلى درجة الملائكة ومنه فإن الدوافع النفسية الداخلية فطرية كانت أو مكتسبة هي التي تثير السلوك وتحدد وعيه واتجاهه، والغرائز من أهم الموضوعات التي يهتم بها علم النفس إذ يتطرق إلى نوين من الدوافع الإنسانية المادية الشهو انية والروحية النامية وكذلك الدوافع الفطرية التي يولد بها الإنسان وتؤهله لممارسة دور خليفة المكلف بها والتي يتعلمها من مجتمعه بفعل التربية والتطبيع الاجتماعي.

ومن هنا يرى أن هناك دوافع تحرك سلوك الإنسان ويكون واعيا بها، فإهمالها، منتجها إليها، وهي ما يطلق عليها الدوافع الشعورية وهناك دوافع السلوك لا يكون الإنسان غير واعي بها وهي لا شعورية، والتي تحدثت عنها مدرسة التحليل النفسي بقيادة **سيغموند فريد** وفي هذا يقول "مالك بن نابي": فهو يستقبل عند ولادته ميراثا نفسيا معينا، كما يستقبل تراثا حيويا هذا الميراث هو الذي يكون مجال اللاشعور ويمثل رصيد العقائد والخرافات التي كدستها الإنسانية في نفسيتها منذ بدء التاريخ.[1]

إنه في حقيقة الأمر أن الدوافع أفادتنا في تشخيص الكثير من الأمراض كعدم الاستقرار النفسي والقلق والتعصب والاكتئاب والتخلق الدراسي ...الخ.

إذن فإن للنفس دور كبير في تحقيق مصير الأمة والبشرية جمعاء والدليل على ذلك النظرية التحليلية (التحليل النفسي) بأكملها التي يتزعمها العالم النمساوي **سيغموند فرويد** والتي من أهم جوانبها:

[1] مالك بن نبي، **ميلاد المجتمع**، ص.63.

أن الانسان ليس عبدا لغرائزه وجميع سلوكاته لا تظهر إلا بإرجاعها إلى رغباته المكبوتة وبتخطيطه لا ندرك كلية من خلال اللاشعور وقد أشار القرآن الكريم من قبل إلى هذه الثنائية في الذكر في ذلك قوله تعالى: "زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا".[1] وهذا يعني أن الله سبحانه وتعالى هو من جعل وأوجد هذه الشهوات والحاجات في الإنسان لكنه نظم له أسلوب ممارستها بشكل يحفظ بقاؤه ونموه واتزانه في الأكل والشراب لازم لبقاء الإنسان لكن في ممارستها المشروعة كما حدد الله سبحانه وتعالى في قوله: "قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون".[2]

ومن خلال ذلك نرى أن مالك بن نابي يربط الجانب الطبيعي للفكر والجانب الروحي الأخلاقي إذ يقول: "وهو المجال الذي يصبح فيه الأفراد المهذبون المثقفون وسائل خدمة الضمير، كما يتم إيصالهم بالحياة عن طريق الضمير عن طريق الغريزة المباشرة".[3]

وهذا كما يرى ابن نبي ليس أن الفكرة الروحية تمنع عن حق الإنسان في ممارسة دوافعه كما تذهب بعض المذاهب المتطرفة في الرهبانية والصوفية، فهي لا تدعو إلى الإسراف في ممارسة الشهوات دون ضابط، كما تدعوا النزعات الإباحية المتطرفة كالماركسية والوجودية وبهذا أبرز مالك ابن نابي في أسلوب معالجة الإسلام للنفس البشرية والدوافع والتي تميزه عن غيره من المفكرين، ومن أهم الحاجات الأساسية النفسية للإنسان حسب مالك ابن نابي تتجسد في:

1- الحاجة إلى التغيير عن الذات العربية المسلمة بأن يكون لها صوت مسموع في وسط الجماعة من خلال إيمانه بعقيدته.

---

[1] سورة آل عمران، الآية 14.
[2] سورة الأعراف، الآية 32.
[3] **ميلاد مجتمع**، مرجع سابق، ص.65.

2- الحاجة إلى الانتماء فإن الإنسان اجتماعي بطبعه يحتاج إلى الانتماء للجماعات يشعر خلالها بأنه جزء من هذه الجماعة الأسرية ثم جماعة المسجد والمدرسة وجماعته الأصدقاء.

3- الحاجة إلى الغذاء والأمن مصداقا لقوله تعالى: "فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف".[1] فالغذاء والأمن يحقق الاستقرار النفسي ومن ثمة يغير التاريخ والمجتمع من أوضاعه إلى نهضة شاملة.[2]

4- كما أن هناك عامل آخر لا يجب إهماله وله أثره الواضح على النفس أيضا وهو يتعلق بعالم الأفكار، حيث هذه الأفكار التي تؤدي دورها ككائنات حية في شروط عضوية معينة، عندما لا تقاوم بدورها فتصبح الأنفس جثة هامدة لا قيمة لها، ولذلك فإن الاستعمار عندما يتوغل في أي بلاد مستعمرة تنصب عينه على العامل الروحي الديني الذي يعتبر عماد الأمة وروحها، وعامل الأفكار فمثلا الاستعمار الفرنسي في الجزائر أول عمل قام به هو محاولة طمس معالم الشخصية الجزائرية (العروبة، الإسلام، الأمازيغية) وذلك بطمس فكره وثقافته حيث غير الكثير من المفاهيم والأفكار وجعل الجزائر تشك في مفهوميته وهذا ما يؤدي إلى إحباط نفسية الفرد.

2-الإصلاح الاجتماعي:

إن التغير النفساني عند "مالك بن نبي" أكد على ضرورة الربط بين صلاح المجتمع بصلاح أفراده، كما أن المجتمع يعتبر النواة الحقيقية للفرد والذي يعني في مفهومه الذي يعطيه القاموس: تجمع أفراد ذوي عادات متحدة ويعيشون في ظل قوانين واحدة، وكما يطلق عليه "بن نبي" مصطلح "ميلاد" وهو الذي يتفاعل فيه الأفراد في محيط جغرافي معين ولكل مجتمع نمط أو منهج معين من شبكة العلاقات الاجتماعية على أساس معين، وهذا الأساس يستمد حيويته وطاقته وفعاليته ويحقق فيه الإنسان طموحاته.

---

[1] سورة قريش، الآيتين 3-4.

[2] مالك ابن النبي، **وجهة العالم الاسلامي** ، مصدر سابق، ص.26.

ومن هنا نطرح التساؤل التالي: فيما يكمن التغير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي؟ وما دوره في بناء نهضة شاملة؟ وفيما تتمثل أمراضه وشروطه التربوية؟

إن المجتمع عند "مالك بن نبي" لا ينحصر في عدد أفراده، وإنما المجتمع عنده شيء خاص وهو بناءا وليس تكديسا للأفراد، لأن المجتمع يقول "بن نبي" هو المجتمع الذي يقوم بوظيفته نحو الفرد ويحقق راحته، فقبل أن تتجمع الأفراد تكون هناك فكرة عامة تؤلف بين الأفراد، فإذا فقدت هذه الفكرة فقدت العلاقات بين الأفراد وتفكك المجتمع وضاعت المصلحة التي كانت تتمثل فيه.

يؤكد مالك بن نبي أنه عندما يكون المجتمع متحضر تكون إنسانية الإنسان هي القيمة العليا في مجتمع ما، وتكون الخصائص الإنسانية موضع الاعتبار والتكريم.

يرى بن نبي أن الأسرة هي القاعدة الأساسية في المجتمع باعتبارها النواة التي تنشأ منها القيم والأخلاق الإنسانية، فإهمال الإنتاج الإنساني يؤدي إلى التخلف الحضاري.

كما أن الإنسان (الفرد) قد حضي باهتمام كبير لدى مالك بن نبي وجعله موضوع دراساته من أجل بنائه الحضاري الاجتماعي، وقد يشير قول الرسول (ص) في قوله: "المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يمتد بعضه بعضا"، وهو الحديث الذي يعطي الصورة الدقيقة التي كان عليها المجتمع الإسلامي في عهد الرسول (ص).

فالمجتمع أيا كان نموذجه التاريخي أو التشكيلي ليس مجرد جمع لعناصر أو أشخاص تدعوهم غريزة الجماعة إلى أن يتكتلوا في إطار اجتماعي معين، وهذه الغريزة وسيلة لإنشاء المجتمع، وليس سببا في تدهوره.

ومنه فإن المجتمع ما هو أكثر من مجرد مجموعة من الأفراد الذي يؤلفون صورته.[1]

[1]-مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مصدر سابق، ص 72.

1/- العلاقات الاجتماعية:

إن آليات الحركة الاجتماعية ترجع في حقيقتها إلى مجموعة من العوامل النفسية التي يعد ناتجا عن بعض القوى الروحية، وهذه القوى الروحية هي التي تجعل من النفس المحرك الجوهري للتاريخ الإنساني.

وهكذا وجدنا في مطلع القرن التاسع عشر أحد كبار المؤرخين (خيزوا) يحلل الحركات التاريخية في أوربا، فيرد المشكلة إلى حدود علم الاجتماع وعلم النفس معا، فإن التاريخ بصفته (علم ما وقع فعلا) يمكن أن يتناول موضوعه بطريقتين. إما أن يحدد مجال دراسة في الفرد نفسه، في كل ما يؤثر في حياته، ويغير من صفات إنسانيته، وإما أن يجده في الوسط الذي يحيط بهذا الفرد وكل ما يؤثر في المجتمع ويغيره.

فإن صناعة التاريخ تتم تبعا لتأثير ثلاثة طوائف اجتماعية:

أ- تأثير عالم الأشخاص.

ب- تأثير عالم الأفكار.

ج- تأثير عالم الأشياء.

وإن هذه العوالم لا تعمل متفرقة، بل تتوافق في عمل مشترك تأتي صورته طبقا لنماذج إيديولوجية من (عالم الأفكار)، فيتم تنفيذها بوسائل من (عالم الأشياء)، من أجل غاية يحددها (عالم الأشخاص).

ومنه فالعمل التاريخي بالضرورة من صنع الأشخاص والأفكار والأشياء جميعا، وأن توافق هذه الوحدة التي تتسم وتتشكل في صورة (حضارة)، وهذا الشرط يستلزم كنتيجة منطقية وجود عالم رابع وهو عالم "مجموع العلاقات الاجتماعية"، هي ضرورية في بناء المجتمعات والحضارة، وكما يطلق عليها "بن نبي" شبكة العلاقات الاجتماعية.[1]

[1] مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مصدر سابق، ص، 27.

2/- أصل العلاقات الاجتماعية:

إن أول عمل يؤديه مجتمع معين في تغيير نفسه، فهو مشروط باكتمال شبكة العلاقات، ومن هنا فإن شبكة العلاقات الاجتماعية هي العمل التاريخي الأول الذي يقوم به المجتمع ساعة ميلاده، فكان أول عمل قام به المجتمع الإسلامي هو الميثاق الذي يربط بين الأنصار والمهاجرين، وكانت الهجرة نقطة البداية في التاريخ الإسلامي، وهي تتفق مع أول عمل قام به المجتمع الإسلامي وتكوينه شبكة علاقاته الاجتماعية.

أشار إليه الرسول (ص) في قوله: "يوشك أن تداعي الأمم عليكم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، قالوا: أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: لا، بل أنتم كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، وليترعن الله من صدور أعدائكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبهم الوهن، قيل: وما الوهن يا رسول الله...؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت".

هذه هي صورة المجتمع الإسلامي بعد أن تتمزق شبكة علاقاته الاجتماعية، أي عندما لا يعود المجتمع مجرد مجتمعات لا هدف لها كغثاء السيل، ولا يقل أن جيل العالم الإسلامي اليوم يدرك هذا الحديث أكثر مما كان يدركه أصحاب النبي، وعليه فإن العوالم الاجتماعية الثلاثة تتفق مع الصبغة التحليلية التالية:

نتاج حضارة = إنسان + تراب + وقت.[1]

3/- طبيعة العلاقات الاجتماعية:

إن العمل الأول في طريق التغير الاجتماعي هو العمل الذي يعبر الفرد من كونه (فرادا) إلى أن يصبح (شخصا)، وذلك بتعبير صفاته البدائية التي تربطه بالنوع إلى نزعات اجتماعية تربطه بالمجتمع.

إن اجتماع الأشخاص في أي ظرف، وفي أي مكان، هو التعبير المرئي عن هذه العلاقات الاجتماعية في مجال معين من مجالات النشاط الاجتماعي، وجميع صور هذا

[1]-مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مصدر سابق ،ص 29.

الاجتماع سواء كانت في هيئة تظاهرة أم مدرسة أم جيش، أم مصنع، أم نقابة، أم سينما، وهذه تعبير عن شبكة العلاقات في صور مختلفة.

فالاجتماع الذي يتمثل فيه بداية العمل تؤيد به مجتمع إبان ميلاده يترجم ترجمة صادقة وقوية عن شبكة علاقاته، وما يدل على ذلك في المجتمع الإسلامي، اجتماع المسلمين في المجتمع في صلاة الجمعة مثلا، فهذا الاجتماع يحمل في مضمونه أكبر المعاني التي تذكره بميلاده، فهو رمزه وتذكاره. وهذه الرموز موجودة في جميع المجتمعات ذات النموذج العقائدي، حيث يتذكر الناس فيها تذاكرهم كالأناشيد الوطنية كل عام والتي تحمل تماسك المجتمعات وانتماءاتها.[1]

- **الثروة الاجتماعية:**

لا يقلل عن المجتمع بكمية ما يملك من (أشياء)، بل بمقدار ما فيه من أفكاره وإن لم تلم بالمجتمع ظروف أليمة كأن يحدث فيضان أو تقع حرب، فتمحو منه (عالم الأشياء) محوا كاملا، أو تفقده إلى حين ميزة السيطرة على (عالم الأفكار)، ومن هنا يحدث ويقع الحزاب، ومن استطاع أن ينقذ (أفكاره) فقد أنقذ كل شيء ويستطيع أن يعيد بناء (عالم الأشياء).

ويقدم لنا مالك بن نبي مثالا على ذلك ألمانيا، إنها قد مرت بتلك الظروف ذاتها، كما تعرضت روسيا إبان الحرب العالمية الأخيرة، قد عرفت هاتين الدولتين حزابا في (عالم الأشخاص)، حيث دمرت مصانعها ووسائلها ومبانيها، تقريبا كل شيء، ولكنها سرعان ما أعادت بناء كل شيء بفضل رصيدها الفكري.

ومنه ففعالية الأفكار تخضع لشبكة العلاقات، فكلما كانت شبكة العلاقات أوثق، كان العمل فعالا مؤثرا.[2]

وإذا كان المجموع الكلي لأفراد أعضاء الجماعة (ن) فإن فردا واحدا يستطيع أن يحوز عددا من العلاقات هو (ك) هكذا:

---

[1]-مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، ص 32.
[2]-المصدر نفسه، ص 38.

ك = ن – س.

إذن فالمجموع الكلي للأفراد (ن) الذي يكون الشبكة الاجتماعية في مجموعها، مع اشتمالها على المجموع الكلي للعلاقات هو (ل) هكذا:

ل = ن ك = ن(ن – س).

والعدد (س) هو الذي يمثل دليل التطور الاجتماعي من ناحية الكم، وقيمة هذا العدد تقع بالضرورة بين حدي التطور الاجتماعي، كما أنها تدل عليها، فهي إذن بالضرورة واقفة بين (أ) أو (ن) أو بتعبير الجبر:

ن > س > أ

وعليه فإذا ما بلغ نموه فإن شبكته الاجتماعية تكون:

ل $_1$ = ن (ن – أ) .[1]

و هذه هي الحالة التي يشير إليها حديث الرسول (ص) في قوله:

"المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا" .[2]

أما حين يبلغ المجتمع نهاية تحلله فإن العلاقات الاجتماعية تكون على صورة:

ل ع = ن (ن – ل) = 0 .[3]

أي أن الشبكة الاجتماعي لم تكن قادرة على مواجهة نشاط مشترك، فأصبح ذلك مستحيلا.

[1] -مالك بن نبي ، ميلاد مجتمع ، مصدر سابق ، ص ص 39-40.
[2] -حديث شريف.
[3] -مالك بن نبي ،مصدر سابق ، ص 40.

قضية المر أة في المجتمع:

كما أن قضية المرأة في المجتمع عند مالك تتدرج ضمن المنظومة الفكرية العامة التي حددها في مشكلته، قد أخذت اهتمامه باعتبارها أن كان في الجاهلية لا قيمة للمرأة حتى أن كان لا يعترف بأن لها روحا وجاء الإسلام فغير الأوضاع النفسية البدائية، وأعلى مكانتها في المجتمع، وخير نساء العالم عائشة أم المؤمنين والسيدة خديجة وغيرها من

الصحابيات المسلمات، والنساء المسلمين الذين غرسوا جذور التربية النقية الطاهرة التي أنبتت، **و لالة فاطمة نسومر** التي ناضلت من أجل تحرير وطنها، وهكذا أعاد الإسلام قيمة المرأة بعد أن حرمت منها سنين، بعدما أعاد الإسلام كرامة المرأة لكن اليوم في عالمنا العربي نلمس تغييرا ومنعطفا، لكنه مؤسف نظرا لما آلت إليه المرأة العربية والمسلمة، ولهذا إن قضية المرأة عند ابن نبي تتدرج ضمن المنظومة الفكرية العامة التي حددها في مشكلة الحضارة بأبعادها السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والأخلاقية، وهكذا فإن مالك بن نبي أخذ موقفه لقضية المرأة من القضايا الأخرى وأطلق تسميتها "لمشكلة المرأة" في كتابه "شروط النهضة".

يرى أن مشكلة المرأة ليست معزولة عن مشكلة الرجل، فالمشكلة واحدة تكمن في مشكلة الفرد في المجتمع، وميز ذلك بين موقفين متقابلين من قضية المرأة، موقف متمسك بإبعاد المرأة عن المجتمع وإبقائها في وضعها التقليدي، وموقف الداعين لخروج المرأة في صورة تلفت إليها الغرائز، ورأى أن هذين الموقفين يصدر عن دافع واحد وهو الغريزة ،وإذا كان موقف الداعين إلى التحرر على النمط الغربي فأخطاره واضحة على المجتمع الإسلامي بسبب ما يؤدي إلى ترسيخ التبعية وضرب هوية الأمة الإسلامية وانحلال القيم الاجتماعية لدى المرأة المسلمة، أما الموقف الثاني يكون أشد خطرا لأنه يعطي المبررات لأعداء الأمة الإسلامية للخوض في سمعة الإسلام والتشكيك فيه ويفتح للمرأة المجال للتفكير في الحرية تجد إلا النموذج الغربي طريقه، ويرى أن تقليد المرأة العربية المسلمة للمرأة الغربية ينقلها من بساطتها ومكانتها إلى المرأة مدمرة للمجتمع1.[1]

[1] -مالك بن نبي ، **بين الرشاد والتيه** ،مصدر سابق ،ص66.

وإن كانت التغيرات الاجتاعية والاقتصادية دفعت بالمرأة إلى عالم الشغل والخروج من المنزل ولهذا يدعو مالك بن النبي أزمة العاملة الأوروبية بنظر الاعتبار فالمرأة الأوروبية كانت ضحية للخروج بالمجتمع هو الذي حاورها وقذف بها إلى المصنع والمكتب وأفقدها العواطف الإنسانية ولهذا دعا مالك ابن النبي إلى وضع قضية المرأة المسلمة في إطارها الحضاري الإسلامي الطبيعي ،ومن هنا ينبغي أن تطبع حركتنا النسائية بطابعنا لا بطابع ما يصنع في الخارج.[1]

وخصص مالك ابن النبي فصلا خاصا في كتابه شروط النهضة قضية الزي بعد الفصل الذي خصصه لقضية المرأة وهذا ما يبدو جليا في الترابط بين القضيتين ويعتبر الذي أحد العوامل الرئيسية للتوازن الأخلاقي في المجتمع وله روحه الخاصة مثلا: فالعباءة تعبر عن الأشياء التي ورثتها لنا بيئة تميل إلى الهدوء، فالزى ليس مجرد ديكور خارجي خلال من المضامين الكبرى في حياة الأمة، وإنما تعبر عن هوية المجتمع فهو يسهم في تمييز المجتمعات عن بعضها البعض وعليه لبناء مجتمع متماسك ومتطور في شتى المجالات لابد من ربط العلاقات الاجتماعية عن طريق تكوين عالم الأفكار وعالم الأشخاص وعالم الأشياء.

3-الإصلاح الاقتصادي:

إن الإنسان بحاجة إلى الموارد ولثروات المادية التي مصدرها الوجود الطبيعي والأرض بصفة خاصة تعد من اكبر وأعظم منبع للحياة ولا يمكن للإنسان الاستغناء عن ذلك فحياته مرهونة بأشياء باعتبارها تمنحه الحياة والاستمرار في الوجود والمجتمع، فالإنسان لا يستطيع العيش بمعزل عن الماء والهواء والضوء والحرارة وغيرها، فهي والتي تسمى "بعالم الاقتصاد" والاقتصاد هو الذي يرفع من شأن المجتمعات والأمم أو يحط منها، ولكن للأسف الشديد أن الإنسان المسلم لم يستيقظ ولم يدرك هذه الحقيقة بالرغم من

[1]-مالك بن نبي ،بين الرشاد والتيه ،مصدر سابق، ص 68

التبعية الواضحة في جميع المجالات لازلنا نستورد القمح والحبوب من خارج الوطن ، صرنا نعتمد على غيرنا في جلب الطعام والسلاح ، وهذا ما دفع بن نابي أن يمنح للجانب الاقتصادي قيمة وأهمية في تغيير الشعوب والمجتمعات والسؤال المطروح هو: كيف يعيد المجتمع المسلم تحقيق توازنه الاقتصادي في فكر مالك بن نابي؟ وما الشروط التي توفر له الفاعلية وامكانية الخروج من دائرة النظرية إلى دائرة الخطة؟.[1]

1- واقع العالم الاقتصادي الإسلامي:

يتعين مفهوم الاقتصاد من منظور مالك بن نابي أنه ليس فقط علما نتعلمه أو منحنيات بيانية وأرقام تتلاعب بها ولكنه قبل كل شيء وعيا واستعدادا فكريا وسلوكيا أو بكلمة واحدة ثقافة، إن الاقتصاد ليس خارجا عن ذات الإنسان، بل هو جزء من جوهره وذاته وهو الصيغة النهائية الكاملة لعملية تداخل العلاقات الإنسانية؟ لخطة التبادل بين البشر .

يرى مالك بن نابي أن الدولة الإسلامية بعد نيلها الاستقلال السياسي وجدت نفسها أمام خيارين اثنين: إما خيار الإباحة الرأسمالية أو خيار الاشتراكية، ظنا منها أنه لا يوجد خيار ثالث و هذا الخيار لم يأتيها صدفة بل صدر عن قابليتها للاستعمار، وقد حصلت الدول العربية فكرها في هذين البديلين الاقتصاديين، ولو أنها فكرت قليلا بعيدا عن المصالح الشخصية التي تحكمت في قراراتها السياسية لوجدت الخيار الاقتصادي في حل ثالث وربما كان هذا الحل أفضل من مبادئ **أدام سميث**" وأحكام **كارل ماركس**.

وغداة الاستقلال مباشرة وجد العالم الإسلامي اقتصاده مقتصرا على الاستهلاك بدل الإنتاج، لقد صنع الاستعمار من الرجل العربي المسلم تفكيرا إلا في بطنه، وهمه الوحيد كيفية تلبية رغباته المادية، ولا يفكر أبدا في الوسائل التي تمكنه من الخروج من ورطته مقلدا حاجيات غيره، وبذلك اتجه نحو تكديس الأشياء بدل البناء.[2]

---

[1]-شنوف شعيب، **الاقتصاد العالمي العادل عند مالك بن نبي**، رسالة ماجستير نوقشت يوم 23-24 فيفري 2011م، جامعة غرداية، ص 05.

[2]-قادة بحري، **محطات اقتصادية من فكر مالك بن نبي**، الجزائر، ط1، 2006 ،ص 30.

الاستثمار المالي والاستثمار الاجتماعي:

إن المشكلة التي تطرح بالنسبة للبلاد الإسلامية ليست مشكلة اقتصادية للمصطلح ولكنها مشكلة نفسية ثقافية اجتماعية قبل أن تكون اقتصادية فالعلاقات الاجتماعية هي التي توضح الفرق بين بلد متطور وبلد متخلف لأن التنمية حاليا محدودة بمجال جغرافي فالتنمية في مفهومها لدى البلدان النامية هي المادة والتكديس في الواقع العلمي، فالمجتمع العربي والإسلامي لا ينتج أفكاره الخاصة ولا أن يصنع إنتاجه الاستهلاكي ومنه فالعملية الاقتصادية ليست مجرد أموال وخبرة وتنظيم بل هي قبل ذلك ترتبط بأجهزة نفسية في المعادلة الشخصية لدى الفرد الذي يفكر في الخطط وهذه المعادلة كما يرى مالك بن نابي أنها ليست من المعطيات البسيطة ولكنها شيءا يكتسب جنبا إلى جنب تكوين الفرد.

فالفشل الكبير لمعظم محاولات البناء في مجال التنمية الاقتصادية والاجتماعية يعود إلى التناقض والانسجام الموجود لدى حياة الفرد داخل البلدان النامية وعدم اختيار النموذج الذي من خلاله يمكن تعبئة الطاقات الاجتماعية وتتوحد الجهود في إطار من الفعالية الشاملة، فالمشكل المطروح في البلدان النامية هو مشكل القوت قبل مشكل المواجهة والرأسمالية العالمية فالاستثمار الاجتماعي كوسيلة لتنمية البلدان الاجتماعية ومنه فإن القضية بالنسبة للبلدان الإسلاميةليست قضية إمكان مالي وإنما قضية تعبئة للطاقات الاجتماعية تحركها إرادة حضارية.

يتوصل مالك بن نابي إلى أن الإمكان الاجتماعي هو الذي يحدد مصير الشعوب والدول، كما هو ملاحظ أن التنمية في هذه الدول تأثرت بأنها سمت خطط التنمية على أساس الاستثمار المالي في البلدان الإسلامية وكما نجد في تجربة الصين انتشرت 15% من الناتج الوطني الخام، واعتمدت على الاستثمار الاجتماعي وجعلها في ذلك تجربة رائدة في كيفية توظيف الإنسان، التراب، الزمن.[1]

[1]-مالك بن نبي، **المسلم في عالم الاقتصاد**، دمشق، سوريا، ط.3، 1987، ص.78.

فخصائص اليد العاملة في الجزائر تتميز مثلا بالنسبية العالية للشباب 65% تقريبا، وارتفاع نسبة التمدرس، هذه المميزات على مستوى العالم تؤثر على الموارد البشرية للمؤسسات الاقتصادية عامة.[1]

يرى مالك بن نابي أنه مثلا لو دمرت مدينة كبرى مثل نيويورك على إثر زلزال شديد، فإننا نرى بكل تأكيد إعادة بنائها، فإن واقع الولايات المتحدة لا يتعدى رصيدها منذ سنة 1969 عشر مليارات دولار من الذهب فإنها لا تفي بمبالغ المشروع وتغطيها، لأن مدينة نيويورك مع محتوياتها الاجتماعية يفوق ذلك، ومن هنا يتبدى لأذهاننا أمران:

1- إن أمريكا لا تستطيع بإمكانها المالي أن تشتري مدينة نيويورك.

2- بينما تستطيع بإمكانها الاجتماعي بناء وإعادة بناء مئات مدن مثل نيويورك، فالأمر ولهذا لا بد من تشييد في العالم الاقتصادي بأفكار معينة مثل الاستثمار الاجتماعي وعلى العالم المتخلف أن يعي وجهة الاستثمار حتى يتخلص من رواسب التخلف التي لحقت به في السنين الأخيرة وأن يغير من مفهومه ليحوله من "العمل نتاج الاستثمار" إلى "العمل نتاج عمل"، فالمعادلة الأولى ذات طابع مالي أما الثانية ذات طابع اجتماعي، وعليه فالمسلم اليوم مطالب بأن ينظر إلى الأمور نظرة أجابية تأخذ بعين الاعتبار مسامتين اقتصاديتين:

1- لقمة العيش حق لكل فم.

2- العمل واجب على كل ساعد.

وعليه فإن الدولة الإسلامية لو طبقت في برامجها الاقتصادية المسلمة لحلت أقوى مشكلاتها وهي البطالة.

وان البطالة عمل تبدأ به أية دولة من اجل انطلاقة اقتصادية قوية هو تركيب عناصر الحضارة كما يسميها مالك بن نابي وهي الإنسان والتراب والوقت، وداخل الشبكة الاجتماعية يكون عنصر الدين فيها ذو مكانة عالية يعطي للتركيبة قيمة أخلاقية.[2]

[1]-ظواهر محمد التهامي وناصر دادي عون، القيادة والقيم للمؤسسة، حالة مؤسستين صناعيتين، العدد 51، 2000.

[2]-مالك بن نبي، **المسلم في عالم الاقتصاد**، مرجع سابق، ص.74، 75، 82.

فالإنسان قادر على أن يؤثر في المجتمع بثلاثة مؤثرات رئيسية الفكرة والعمل والمال حينها يكون التوجيه المنهجي للعمل شرطا عاما أولا، ثم وسيلة لكسب العيش بعد ذلك وهذا التوجيه لا يكون فعالا إلا إذا أخذ شكلا رسميا شهر عليه مؤسسات مختصة في توجيه العمل خاصة اليد العاملة وتوجيه رؤوس الأموال المحلية والأجنبية توجيها صادقا يحقق التنمية الشاملة التي تراعي الفرد.

فإن توجيه رأسمال في العالم العربي الإسلامي لا يزال في طور التكوين لا يتصل اولا بالكم بل بالكيف، فإن همنا الأول أن تصبح كل قطعة مالية متحركة متنقلة تخلق معها العمل والناشط إما الكم له الدور الثاني وهو دور التوسع والشمول وتحويل معناها الاجتماعي من أموال كاسدة إلى رأسمال متحرك ينشط الفكر والعمل، كما انه يمكن الاستفادة من تجربة أوروبا التي مرت بها وخرجت منها لتوجيه رؤوس الأموال وتخطيط اقتصادها، ولعدم الوقوع مما وقعت فيه أوروبا حين تحركت فيها الآلة من مشكلة حرية الإنتاج والتجارة مما أدى إلى اضطرابات اجتماعية ناتجة عن اضطهاد طبقات أخرى.

وعليه أن نتخذ الحيطة حتى تكون أموالنا مطبوعة بطابع الديمقراطية لا بطابع الإقطاعية وانسجام مصلحة الجماعة مع الفرد.[1]

إن ظاهرة التكديس في نظر مالك بن نابي أدت إلى التمدن لا إلى الحضارة وهذا التمدن يمكن صناعته من لحظة معينة من الزمن، إذا أصبح لدى المسلم العربي همه ارتداء الملابس الغربية ونظارات غالية وسيارة رفيعة ويتكلم لغات غيره ومن هنا أصبح يحمل في ذاته أفكارا لا تناسب المجتمع، وعقلا ضيقا لا يتعدى الأفق، قد أصبحنا نفكر كيف نصنع هذه المنتوجات بل التسارع لكسبها وبالتالي المجتمع الذي لا يصنع أفكاره يؤكد بن نابي أنه لا يمكنه أن يصنع المنتوجات الضرورية لاستهلاكه لهذه المنتجات ومن هنا تصبح التبعية الاقتصادية من أكبر المشاكل التي تعاني منها الدولة النامية، ويصبح الركود والجمود ليس من عوامل التقهقر والتخلف فحسب بل من عوامل الفناء والخروج من التاريخ كما حدث لدول اندثرت ومحيت من الخريطة السياسية.

[1]-مالك بن نبي، **شروط النهضة**، مرجع سابق، ص.120ن 121.

1- من الإنتاج والاستهلاك: إن العالم الإسلامي قد تعثر في طريق التنمية الاقتصادية فكل المجهودات التي قام بها باءت بالفشل، في حين انطلقت دول أخرى في نفس الاتجاه وحققت نتائج ملموسة وأرقاما تضعها ضمن الدول المتطورة على اهم المنتوجات التي تدخل بلادنا حتى نعرف هذه الحقيقة الاقتصادية.

وكما أن الهند وباكستان ودول أخرى آسيوية تخرج من ظلام التخلف وتجد لنفسها مكانا في الخريطة الاقتصادية يحسب له ألف حساب أما الدول العربية فإن اقتصادها لا يزال مقتصرا على الواردات رغم تمتعها بالمسافات الشاسعة واليد العاملة العاطلة.[1]

لقد أصبح العربي الإسلامي يتكلم إلا عن حقوقه المهضومة التي أصبحت تسيطر على جميع نواحي التطور، لكن لا يطرح على نفسه أبدا السؤال الوجيه:

هل قمت بواجبي وأديته على أحسن وجه؟

وهل قمت بأكثر مما يمليه علي واجبي؟

ومن هنا فإن الطبيعة البشرية العربية تميل دوما إلى حب التملك والحصول على أكبر قدر ممكن من المنافع والحقوق وأصبح يبحث عن مصلحته لا مصلحة مجتمعه.

وفي هذا المنطلق يمكن إجاد ثلاثة نماذج للمجتمعات يعبر عنها مالك بن نابي بالعلاقة الجبرية التالية: واجب + حق = الصفر.[2]وهذه الصورة في الجبر تسمى اللامعادلة، يعني أنه إذا كان الواجب أكبر من الحق كانت النتيجة ايجابية أي فوق الصفر وإن كان الحق أكبر من الواجب كانت النتيجة سلبية أي تحت الصفر، وإن كان متكافئين كان الناتج صفرا.

وهكذا فإن الاختيار يتفق في التخطيط الاقتصادي مع زيادة قوى الإنتاج بالنسبة لحاجات الاستهلاك وتدل هذه الزيادة على إمكانيات الاستثمار لدى المجتمع، فالغرب

---

[1]-قادة بحري **محطات اقتصادية من فكر مالك بن نبي**، مرجع سابق، ص 35، 36.
[2]-داودي ناصر عدون وشنوف شعيب، **الحركة الاقتصادية في البلدان النامية بين عالمية مالك بن نبي والعولمة الغربية**، الجزائر، 2003، ص24.

أدرك حقيقة هذه المعادلة وخطى خطوات ملحوظة في عملية التنمية وأصبح الاقتصاد ركيزة أساسية ويومية في حياته.

وفي ضو ء هذه الاعتبارات تدرك دور القيم الأخلاقية في نمو المجتمع من الناحية الاقتصادية، إذا كانت طبيعة المشاكل هي التي تحدد الاختيار لدى الاقتصاديين والسياسيين فإنه يتم في نطاق التاريخ بإرادة الشعوب وتبعا لأوضاعها الأخلاقية والإقلاع الاقتصادي يجب أن ينطلق من معادلة تقديم الواجبات على الحقوق، بل وتفوقها عليها.

إن العلاقة بين الحق والواجب هي التي تنظم وترسل القواعد الأساسية في جميع ميادين التطور في المجتمع فغنه المعروف أن الفرد في الدول الإسلامية يطالب بحقوقه ويؤدي بعد ذلك واجباته، في حين أن الأفراد في العالم المتطور يؤدون واجباتهم ثم يطالبون بحقوقهم، فكلما أدى المجتمع واجبه زاد الإنتاج وكلما زاد الإنتاج تمتع الاقتصاد بالوفرة والرفاهية، والفساد والرشوة.

ومنه يؤكد مالك بن نابي أن المجتمع لا يأخذ توازنه إلا إذا تساوى في حجم الإنتاج وحجم الاستهلاك ولا يأتي ذلك في ظل عملية تخطيطية دقيقة ومنهجية تحترم فيها مقاييس الإنتاج الكلي وذلك كلما يزيد عدد المستهلكين على عدد المنتجين فإن المجتمع يتجه نحو التأزم والقلة ومن خلال ذلك تظهر الأزمات الاقتصادية وتضعف المؤسسات السياسية والاقتصادية ويتجه المجتمع نحو الركود والتقهقر.[1]

دور المال في اختزال العمل:

إننا نعلم منذ البداية الأولى أن قضية العمل مقرونة بقضية المال فقد أصبح العمل مقيدا بشروط مالية لا ينطلق بدونها حتى في البلاد الشيوعية الكلاسيكية، حيث لم تتغير هذه الشروط إلا في ظل ملكية المال، حيث تحولت ملكية المال في هذه البلاد لأيدي الخاصة إلى يد واحد وهي الدولة، ومنه فإننا لا نرى أن العمل قد تخلص من المال، لا يزال المال مهيمنا على تسخير العمل فقضية المال بالنسبة للعمل لا زالت قائمة حتى في

[1]-قادة بحري، **محطات اقتصادية من فكر مالك بن نبي**، مرجع سابق، ص 37، 40

البلاد الشيوعية وذلك باعتبار أن المال روابط وعلاقات قرابة عالمية وهذه القضية نشأت منذ نشأ العالم، فبمقتضى التطورات التي حدثت في غزة العهد التاريخي وقضت على الاقتصاد المنزلي، فكان الناس يكونون وحدات إنتاجية صغيرة مستقلة مكتفية بكل بيت لأن الاستهلاك لم يشمل إلا الحاجيات الضرورية أما اليوم فتنوعت الحاجات وتكاثرت بتطور وتكاثف السكان في المدن والقرى وأصبح من الضروري توزيع العمل على أيدي مختصة تعمل خارج البيوت في ورشات مجهزة.

وهكذا ظهر اقتصاد التبادل الذي أصبح يضم عملي الإنتاج والتوزيع على نطاق أوسع من البيت، ثم أوسع من القرية ثم أوسع من الوطن وهكذا تقرر اختيار الذهب والفضة والعملة الصعبة في ذلك الوقت ليقوموا بدور تسيير المعاملات ومن هنا نشأ المال ليقوم بدورين:

الدور الأول: فإنه لم يتفرع عن عملية التوزيع، بل عن عملية الإنتاج فالمنتج الذي كان يكتفي بجزء من عمله لسد حاجياته اليومية فكان من الضروري التفكير في وسيلة اختزان للجزء الباقي من عمله حتى يستطيع رده على حاجات أخرى أو توقف عن عمل لسبب ما.

إن المال مهما كان نوه، فإن وسيلة لاختزال العمل حتى يعود لصاحبه في حاجات أخرى كما تخزن الكهرباء فيما يسمى "المخدرات" وهو بذلك يمثل فائض العمل عن حاجيات البيت وبقدر ما تراكمت وتجمعت الأموال في منشآت الصرف تحول أولا طابعها الاجتماعي، وأصبحت تمثل شيئا جديدا وهو رأس المال ثم تحولت طبقة الصلة بين المال والعمل، فأصبح المال بوصفه مجرد خزينة يودع فيها فائض العمل، وأصبحت أذهاننا لا تستطيع أن تفكر في مشروع اقتصادي، فأصبح العمل فعلا سجينا لا يتحرك إلا بإذن صاحب السجن (رأس المال).[1]

[1]-مالك بن نبي، **المسلم في عالم الاقتصاد**، مرجع سابق، ص ، 68، 69.

عولمة الاقتصاد الرأسمالي وآليات سيطرته:

يمكن في البداية من تعريف بشكل عام أنها اندماج أسواق العالم في ميدان التجارة والاستثمارات المباشرة وانتقال الأموال والقوى العاملة والثقافات في إطار الرأسمالية وحرية الأسواق، وخضوع العالم لقوى السوق العالمية مما يؤدي إلى انهيار الحدود الوطنية، وأن العنصر الأساسي في هذه الظاهرة هي الشركات المتعددة الجنسيات وهذا المفهوم للعولمة، يختلف عن مفهوم الاقتصاد الدولي، فهذا الأخير يركز على العلاقات الاقتصادية الدولية في إطار السيادة، وتكون هذه العلاقات في ميدان التجارة والاستثمار المباشر وغير المباشر.[1]

ما هو قائم في الاقتصاد العالمي الرأسمالي يمثل مرحلة من مراحل تطور النظام الرأسمالي وهو الأكثر تكاملا واندماجا من الاقتصاد الدولي، باعتبار أن النظام الرأسمالي يهدف، إلى تحقيق الأرباح الخاصة والتوسع وتراكم رأس المال عن طريق الاستثمارات وظهور المؤسسات الاقتصادية وهذه السمات للنظام الرأسمالي العالمي الراهن هي ما تسمى بالعولمة المالية بالعمولات القابلة للتحويل إن أهم ما يميز القرن ظهور النظام الاشتراكي إلى جانب الليبرالي كأسلوب أو نمط اقتصادي ينافس نمط الاقتصاد الحر، إلا أن التعايش بين النظامين لم يلبث إلى أن يتحول إلى صراع انتهى بانهيار النظام الاشتراكي وانتهاء تسيير الاقتصاد المخطط، ليبدأ في تعميم ونشر مبادئ وأسس الاقتصاد الحر عبر العالم ليسهل التعامل مع الدول الاشتراكية وبالتالي استغلالها والهيمنة على الدول السائرة في طريق النمو، وإلى جانب المؤسسات المالية الدولية من بينها المنظمة العالمية للتجارة التي حلت محل الاتفاقية العامة للتجارة والتعريفة الجمركية –الجات– وبهذا أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية تمثل القطب لتسيير الاقتصاد العالمي والسيطرة عليه وللحفاظ على النظام الجديد.

ومن خلال ذلك يرى مال بن نابي أن الاقتصاد الرأسمالي في العالم العربي والإسلامي قد تميز بالضعف والهشاشة والتراجع، تحت ضغوطات الواقع المزري الذي

---

[1]-محمد الاطرش، **العرب والعولمة**، المستقبل العربي، بيروت، 1999، ص ص109- 111.
2-مالك بن نبي ،المسلم في عالم الاقتصاد ،مصدر سابق ،ص ص70 - 80 .

وجدت الأنظمة الاشتراكية فيه بعد انهيارها وتخفيض العملة المحلية لأغلبية هذه البلدان مما أدى إلى تدني القدرة الشرائية وارتفاع الأسعار وغلاء المعيشة مما أغرقها في فخ المديونية.[1]

ومن خلال ما سبق يرى مالك بن نابي أن الخلل في التوازن بين الجانب المادي والجانب الروحي ومن أهم مظاهر هذا الانحطاط والتخلف:

- اللافعالية.
- الخلل في شبكة العلاقات الاجتماعية، عوالم الأشخاص، الأشياء، أفكار وطغيان عالم الأشياء وعلام الأشخاص على عالم الأفكار.
- القابلية للاستعمار: فالعامل المقلل والقابلية للاستعمار أدى إلى القصور في الاجتهاد الاقتصادي فعملية البناء الاقتصادي وعلاج موضوع الخلل يمكن أن تنصب على الإنسان فهو العنصر الجوهري الذي يغير المحيط الاجتماعي والاقتصادي، على أساس المعادلة الاجتماعية وذلك عن طريق البناء النفسي والاجتماعي، فإمكانية إعادة النهضة الاقتصادية من خلال تجديد روح داخلي للمجتمع يشمل العناصر الإنسانية والمادية، ومن خلال تحديد نقطة الانحراف ونقطة الانطلاق فإن نطاق التغيير الاقتصادي ينصب حول فئات التي يمسها التغيير الاجتماعي بالدرجة الأولى.

1- تحويل الإنسان من فرد إلى إنسان التنمية: والذي يكون بتكوين الفرد من الناحية العقلية فالبلدان المتخلفة تفتقد الاستعداد العقلي الذي يحقق لها الغاية فرجل العالم العربي لكي يحدد وجهته الاقتصادية يجب أن يتخلص من القابلية للاستعمار.

2- الاستغلال الأمثل للموارد الطبيعية: تراب: يقصد بالتراب كل شيء على الأرض وفي باطنها حيث يعتبر مالك بن نابي هذا العنصر من أهم عناصر البناء الاقتصادي، فإن تم استغلاله لصالح المصلحة العامة وخدمة التنمية المتكاملة، فقيمة هذا العنصر تكمن في كيفية استغلاله وتحويله من مادة خام إلى مواد مصنعة وفق الشكل الذي تتطلبه التنمية والفعالية في توظيفه.

[1]- ضياء قرشي، **العولمة وفرص وتحديات، التمويل والتنمية**، مارس 1993م، ص.28.

3- استغلال عنصر الزمن: تحدد فكرة الزمن عند مالك بن نابي بمعنى التأثير والإنتاج وذلك عندما يتحول إلى ساعات عمل، فعندما استغلال الوقت يتحول إلى استثمار اجتماعي، عندما يتم تحويله إلى زمن اجتماعي حيث يدمج في جميع العمليات الصناعية والاقتصادية، فالتجربة الألمانية مثلا: تجد أن عملية التجنيد الإجباري على الشعب الألماني والتطوع يوميا ولمدة ساعتين يؤديها كل فرد زيادة عن عمله اليومي بالمجان من أجل الصالح العام، فتحققت المعجزة الألمانية وعادت الحياة الاقتصادية الاجتماعية والتي لم يبقى لديها بعد الحرب العالمية الثانية سوى العناصر الثلاثة: الإنسان، التراب، وعنصر الزمن.1.

توجيه العمل:

إن المجتمع هو نتاج لتركيب العوالم الثلاثة الأشياء، الأشخاص، الأفكار وفي هذه المراحل تبقى مشكلة تحضير إنسان التنمية أشق من صنع المجتمع، فمشكلة كل مجتمع في جوهرها مشكلة حضارة، لذلك عند تحديث نقطة الإقلاع الاقتصادي يجب التفكير في عناصر التغيير والتفكير الكيميائي في عناصر الماء إذا ما أراد تركيبه فهو يحلل الماء تحليلا علميا لمعرفة عناصر تركيبه ويدرس القانون الذي يركب هذه العناصر ويعطينا الماء، وهكذا بالنسبة لتوجيه المجتمع من أجل إحداث تغيير ونهضة، ولهذا أكد ابن نبي ضرورة الربط بين الواقع الاجتماعي والحلول المطروحة للبناء الاقتصادي في أي مؤجلة من مراحل البلدان المتخلفة والمتقدمة على حد سوء. 2

ومنهلا يمكن تصور حر كية اقتصادية دون أدوات تصورية وتطبيقية، ولا يمكن فهم هذا الأدوات بغير خطة تربوية مدروسة وبغير إطار ثقافي واضح يعيد الإنسان قيمته ودوره الطبيعي،

ومنه فإن عملية البناء الاقتصادي لا يمكن أن تتصور نجاحها إن لم يكن انجازها أخذ في عين الاعتبار قيمة العنصر البشري أو المعادلة التي وضعها مالك بن نبي.[1]

[1] --ضياء قرشي ، مرجع سابق ، ص ص 28-30.

الاصلاح السياسي :

إن الوضع السياسي في العالم العربي والإسلامي قد نال اهتمام مالك بن نابي وانطلق في إصلاحه السياسي من طرح سؤال السياسية وهو: لماذا نجح "فاكلافهافل" المثقف في إنقاذ وطنه "تشيكوسلوفاكيا" في لحظة حاسمة، ولم يوفق "محمد خاتمي" في إنقاذ جزء يسير من مشروعه الفكري طيلة السنوات التي قضاها رئيسا لإيران؟ ومن خلال هذا السؤال حاول بن نابي حل مشكلة السياسة في العالم العربي والإسلامي ومن خلال ذلك: ما مدى إصلاح مالك بن نبي السياسي في العالم العربي والإسلامي؟.

كما هو معروف أن مالك بن نبي لم يشتغل بالسياسة أكاديميا ولم يمارسها علميا وانما نظر إليها من زاوية التغير الحضاري والعمق الفلسفي والبعد الفكري المجرد، يرى بن نابي أن عملية الإصلاح السياسي تكون في الشعور والقيام بالواجب من أبسط الأمور إلى أكبرها، وبدون هذه الروح وهذا الفعل لا يدخل أي مجتمع طورا جديدا، ويشرح فكرته أن الحيوية كانت في مثال الجزائر، قد بدأت تدب في أوصال المجتمع الجزائي عبر طرح فكرة القيام بالواجب، وبدأ الناس يجعلون من الاتكالية في نظافتهم وزراعتهم وبناء مدارسهم في ترتيب شأنهم، وفجأة طرح المعمر فكرة أن الكل يكمن في الإصلاح السياسي وما على الناس إلى الصراع في السياسة واختيار مرشدهم، والمطالبة بحل المشاكل فتحول المجتمع الحي لمجتمع حامل جزء من أغراضه بريق الأضواء، فهو يخطف ود الجماهير بالحق وبالباطل، والناس تحولت لمستمعين ومنتظرين لهذا البطل البرلماني لحل مشاكلهم ومع كل انتخابات تتجدد المهزلة، والناس على حالها، والفقر والبطالة ... حيث قال مالك بن نابي: "وإذا كانت عبقرية الغرب قد أنشأت بنفسها أحد العناصر التي حتمت الاتجاه المنطلق للتاريخ، فلم تدعه يرجع إلى الوراء، فإن هذه العبقرية قد برهنت على أنها لا تستطيع أن تكفي نفسها بنفسها، وبرهنت على الأحداث الدولية الحالية عجزها الأخلاقي على أن تحتل مكان القيادة في العالم".[1]

[1] -مالك بن نبي ، **فكرة الافريقية الاسيوية** ، مصدر سابق ،ص 156-157.

ولكي نتحمل أعباء هذه القيادة لا بد من سلطة أخلاقية، ودفعة روحية مما لا يوجد لها في هذه العبقرية الصناعية، ولا في مبادئها، ولا في توجيهها، وانه تحليلا لا يرقى إلى مستواه إلا شاهد قرن آخر.

إن الفرد يصبح وسيلة وغاية في نفس الوقت للسياسة وبذلك تهدف السياسة اتجاه الفرد إلى تحقيق هدفين: تتوجه السياسة للفرد بصفته هو الفاعل الذي يحقق التغيرات المطلوبة وبصفته هو الموضوع المطلوب تغيره.

والتغير السياسي عند مالك بن نابي ينطلق من الفرد وليس من خارجه، أي استيراد الأنظمة السياسية تارة من الغرب وتارة أخرى من الشرق، كما يعني بن نابي سياسات العالم الإسلامي من إنها اتجهت في كفاحها للاستعمار تطالبه بتغيير وضعه النهضوي لكي لا يعود قابل للاستعمار.

إن الفرد القابل للاستعمار حين ينهض فإن عليه أن يستعمل ما تحت يديه من وسائل مهما كانت محدودة لتغير بيئة وأن النشاط السياسي يقوم على مبدأين:

- أن يتبع سياسة تتدفق مع وسائلنا.
- أن نوجد بأنفسنا وسائل سياستنا.

تتم السياسة من خلال مرحلتين لتحقيق غايتها وهما:

أولا: تستند إلى العناصر والوسائل الأولية للحضارة والتي صاغها مالك بن نابي في معادلته البسيطة، الإنسان والتراب، والوقت، كما أنه يجب التصفية من الاستعمار القابلية للاستعمار.

ثانيا: مرحلة تحسين ما لدينا من وسائل لتغيير البيئة بالتدريج، ونتيجة هذه المرحلة يجب أن تكون تصفية الاستعمار نفسه، وفي هذا يقول مالك بن نابي: "والمهم في هذه السياسة هو المضمون لا الشكل[1]، فلا الفرق أي شكل سياسي من أشكال التنظيم يكون

[1]-مالك بن نبي، **فكرة الافريقية الآسيوية** ، مصدر سابق ، ص ص158-159.

هو السائد أكان جمهوريا أم ملكيا أم استبداديا مطلقا! والمضمون الايجابي هو وحدة المقياس الذي يتيح لنا أن نعرف إذا كانت السياسة المتبعة على اجتماع مطبقا أم مضربا من الأوهام والخزعبلات".[1]

أما السياسة يسميها بن نابي باسم احترافي "البوليتيكا" ويقول عنها: "هذه السياسة الخرقاء ما زالت تخفي العناصر الحقيقية للمشكلة عن ضمير المسلم فهو يتكلم حيث يلزمه أن يعمل، وهو يلعن الاستعمار حيث عليه أن يلعن القابلية للاستعمار ومع هذا لا يبذل أقل جهد في سبيل تغيير وضعه تغييرا عمليا، أما أكثر القادة فهم في انتظار ملابسات، أعني يتوقفون سماح فرصة فإذا بك تراهم من دين لآخر يرفعون عقائدهم بالاحتجاج معلقين آمالهم على بعض الأساطير المسماة ب: "الأمم المتحدة أو الضمير العالمي".[2]

إذن فإن السياسة يجب أن تكون مستمدة من جهة إلى دراسة دقيقة للواقع بعيدة عن الارتجال من جهة أخرى، يجب أن تستند إلى ما يقده هذا الواقع من إمكانيات لتغيير مزدوج الذات والموضوع ويضرب لنا "بن نابي" مثالا للتخطيط في السياسة العربية التي قادت إلى نكبة عام 1948، ثم توالت نكباتنا والتي لم تتغير شيئا، ومن هنا فمجتمعنا بحاجة إلى ثورة نهضوية سليمة داخلية تأتي من الأسفل لا من الأعلى والتي تجبر البناء الفوقي، ومنه لا ننتظر التغيير من قوة خارجة عن الشخص أو الدولة، أوصفه وحيدة تحل المشاكل في طرفة عين كما قال بن نابي رحمه الله: "لاشك في أن عقائدنا لسياسية تميل لتلك القيم الفاسدة للحضارة، تلك العقائد التي تمثلت عند اليوم في أسطورة الشيء الوحيد في البيان وتزويق الكلام، وهكذا ننتقل من وهم لنتخبط في وهم ولا ندري كم من السنين سوف نقضيها لندرك عجز الأشياء الوحيدة عن حل المشكلة التي هي مشكلة الحضارة أولا وقبل كل شيء".[3]ولنا في ذلك التجربة اليابانية أو الألمانية بعد الحرب العالمية الثانية، تعتبر دليلا قاطعا وبرهانا ساطعا، حيث صنعت هتين الدولتين المعجزة وغيرت من أوضاعها الاجتماعية والسياسية رأسا على عقب ودخلت التاريخ، ولعل ما يميز العالم

[1]-مالك بن نبي، **وجهة العالم الاسلامي**، ت. عبد الصبور شاهين، بيروت، ص.90، 91.
[2]-مالك بن نبي، **المصدر نفسه** ، ص. 92.
[3]-مالك بن نبي، **شروط النهضة** ، ص.158.

الإسلامي غنى ثروته وتركته التاريخية التي يمكن الاستفادة منها في شقها السياسي، لكن للأسف الشديد أن العالم الإسلامي يعاني من قصور في المجال السياسي، فنجده يميل إلى ما يسميه "ابن خلدون" بالميل إلى البسائط من الأمور، ولهذا لا بد من معالجة وإصلاح الحكومة من وجع الرأس والأمراض التي تنتهكه.

فإذا كانت الحكومة وأفرادها صالحون فإن المجتمع يكون صالحا راقيا متطورا والعكس صحيح.[1]

شروط التغيير السياسي عند مالك بن نابي:

أولا - الاجتماع:

والذي يعني تجانس عمل الفرد مع الدول وإلا حدث العكس فيصبح النظام السياسي دكتاتوريا، أو ديمقراطيا مزيفا، ويصبح لا مفهومية له.

ثانيا: التعاون بين الدولة والفرد على التصعيد الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والثقافي في جميع المجالات، فهو المحفز المحضر للسياسة المؤثرة في الواقع، أو يحدث دون ذلك ما هو واقع الآن كالتمزق وبالتالي زوال المجتمع مثل ما هو في البلدان العربية كالعراق، السودان، لبنان...

ثالثا: وجود محكمة داخلية (الضمير) شاهد على أعمال الناس وهو الذي يحسن أعمالهم ويرتبها، وربط أفراد المجتمع كل في مكان عمله، وهذا التجانس لا يتم إلا بعمل ثقافي ثوري، وقوى يبني الوطن الصالح كما يقول بن نابي في ذلك: "فظاعة السياسة تعني في آخر المطاف، صناعة الثقافة".

ولقد صدق "**لينين**" حينما قال: "إن كل الأحزاب الثورية التي أخفقت حتى الآن قد أخفقت لأن الضرورة قد استولى عليها، ولم تكن بقدر ما تكون فوقها، كما كانت تخشى

[1]-مالك بن نبي، **آفاق جزائرية**، مصدر سابق، ص. 178.

الحديث عن جوانب الضعف فيها، إذ علينا بنقد ذاتي في المجال السياسي لا نخشى فيه الحديث عن ضعفنا ونتعلم كيف نتغلب عليه".[1]

المبحث الثاني: أسس الإصلاح في فكر مالك بن نبي

إن إسهام عملية البناء والنهضة بالفكر العربي ليس باستيراد النظم السياسية، وإنما عملية البناء أساسها الإسلام، والثقافة، والسياسة، والاقتصاد والتربية...

وإن خطوات الإصلاح عند مالك بن نبي تنطلق من الإسلام الذي يشكل الإطار الحضاري للعالم العربي والإسلامي، وتكون هذه الخطوات في اتجاهين:

-اتجاه مستقبلي وملتزم بأطر أحكام القرآن والسنة، وطريق السلف الصالح ومناهجهم، وبذلك مجددا لآليات التطور الاجتماعي في كل المجالات لبناء حضارة إنسانية.

-واتجاه الدراسة الواعية للماضي وفهم منتجاته، لفرزها والتزم بالإيجاب منها، ووعيا لخطورة الانفصال عنه وإلغاء أثره.[2]

ومن هنا فلابد من إلغاء الرجعية الكلية للتراث، وإطراء الفعالية الإيجابية تتفاعل مع الحاضر ووقائعه لتحقيق الأهداف.

يرى مالك بن نبي أن أساس الإصلاح هو تصفية عاداتنا وتقاليدنا، وإطارنا الخلقي، والاجتماعي من عوامل الضعف، ورمي مما لا فائدة منه، لكي يصفو الجو للعوامل الداعية إلى الحياة. وهذه التصفية لا تكون إلا في ظل فكر جديد يحطم الوضع الموروث عن فترة تدهور المجتمع، ولا ينبغي أن ينكب عن مدح الماضي، فهنا الفكر لا يسير للأمام، وإنما ينتكس للوراء، ولابد للبحث عن وضع جديد وهو وضع النهضة، وطريقة التجديد للأوضاع والتي تتم عبر طريقتين:

1- سلبية تفصلنا عن رواسب الماضي.

---

[1]-مالك بن نبي، **بين الرشاد والتيه** ، مصدر سابق، ص.77.

[2]-أسعد الحمراني، مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا، دار النفاس، بيروت، ط1، 1984م، ط2، 1986م، ص 182.

2- إيجابية تصلنا بالحياة الكريمة.[1]

فالإسلام يعتبر الموجه والضابط في حركة التحضر في العالم العربي والإسلامي ومنهج الأصالة الملتزم بالتراث والمتفهم للواقع.

يعتبر القرآن الكريم محرك الحياة والذي لابد أن يمس الفكرة القرآنية مباشرة ضمير إنسان ما بعد الموحدين ومجال حياته وفكرة ومناحي سلوكه، كما يجب أن يرمي إلى تحديد القيمة القرآنية في ذاتها كي تصبح قيمة نشطة، ووسيلة فنية (تقنية) لتغير الإنسان.

وعلى المصطلح أن يجعل من آية القرآن أمرا حيا يملي على الفرد سلوكا جديدا ويجذبه جذبا إلى حياة العمل والنشاط.[2]

ومن خلال ذلك فإن البدء بالمشروع على الأسس لابد أن يكون في الصالح العام للتثقيف والتوجيه بمختلف الوسائل المتاحة، والمنهج التطبيقي للعمل اليومي في كل حركة ونشاط، فالجانب العملي يثبت لصلاحية المشروع ويسد الفراغ عند الشعب المتحفز للتغيير، ومن هنا يجد الفرصة والثغرة التي تركوها غيرهم، وفي هذا يقول بن نبي: "إن كل فراغ إيديولوجي لا تشغله أفكارنا ينتظر أفكارا منافية معادلته لنا.

وعليه لابد من تحويل الأقوال إلى أعمال وهي مفاهيم أساسها نصوص القرآن وعكسها تستحق عقاب الله تعالى الذي يمقت القول الغير المترجم إلى فعل. قوله سبحانه وتعالى: "يا أيها اللذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون، كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون".

ففي هاتين الآيتين سؤال وتنبيه عن فعل ما يكرهه الله، وهذه هي أسس وقواعد المشروع الإصلاحي التي تمت صياغته من منطلقات إسلامية ودراسة تراثية، وبحث ميداني، وتطلعات مستقبلية، ومنه فاقتران الفكر بالعمل هو أساس التقدم.[3]

---

[1]-مالك بن نبي مشكلة الثقافة، دار الفكر، دمشق، ص 68.

[2]-عبد اللطيف عبادة، فقه التغيير، ص 160.

[3]-أسعد السحمراني، مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا، مرجع سابق ،ص ص ،186، 187.

الفصل الرابع:

أثر مشروع فكر مالك بن نابي في العالم.

يعتبر مالك بن نابي من بين المفكرين الذين بلغ صداهم في العالم العربي والمشرق وبزياراته للعديد من البلدان والالتقاء بمفكرين وحظر الكثير من الملتقيات كما كان تأثيره عن طريق كتبه والدراسات التي صدرت عن كتبه وشخصيته في العديد من المجالات في دمشق وليبيا وبيروت والمملكة العربية السعودية، وفي الولايات المتحدة وفي بريطانيا وماليزيا والتي أثرت في العديد من الطلبة والمثقفين التي ساهمت في إثراء العقل والثقافة وكونت العديد من النخب، وكان لفكره وأثر بارز في تأسيس ملتقيات الفكر الاسلامي لتبليغ صوته في العالم ومن هنا نتساءل: ما مدى أثر فكر مالك بن نابي في العالم العربي والعالم الغربي؟ وما مكانته في العالم؟.

المبحث الأول: تأثير فكر مالك بن نابي في العالم.

1- في العالم العربي:

إن جهود فكر مالك بن نابي ساهمت في إثراء العقل والثقافة العربية التي كونت العديد من النخب، وكان لمالك بن نابي مكانة بارزة بين تلاميذه وطلبته في العالم العربي والتي استمرت طويلا بعد وفاته في تبليغ صوته، وكل اهتمام واسع بمالك بن نبي بفكره وشخصيته حيث تناول العديد من المفكرين والباحثين والدارسين دراسات حول مالك بن نابي ومن سن هذه الدراسات نجد:

1. التغيير الاجتماعي عند مالك بن نابي للدكتور –علي القرشي–
2. فلسفة الحضارة عند مالك بن نابي للدكتور –سليمان الخطيب–
3. مالك بن نابي مفكرا اصلاحيا للدكتور –أسعد السحمراني–
4. مفهوم الحضارة عند مالك بن نابي وأرلوند توينبي للأستاذة –آمنة بن تشيكو–
5. موقع المسألة الثقافية من استراتيجية التجديد الحضاري عند مالك بن نابي للأستاذ الدكتور –الطيب برغوث–
6. نقد مالك بن نابي للفكر السياسي الغربي الحديث للدكتور –يوسف حسين–
7. فكر مالك بن نابي للأستاذ المحامي اللبناني المشهور –عمر كامل مسقاوي–
8. مالك بن نابي حياته وفكره للباحث الدكتور –عبد الله العويسي–

9. مكانة الأفكار في الفلسفة الاجتماعية عند مالك بن نابي للدكتور – حمودة سعيدي–
10. مالك بن نابي والاتجاه الحضاري في الحركة الوطنية الجزائرية للدكتور – محمد العربي معريس–.[21]

2–في العالم الغربي:

إن أثر فكر مالك بن نابي ليس في العالم العربي فقط، وإنما كان تأثيره كذلك في العالم الغربي كبريطانيا والولايات المتحدة ومن بين ما تبنى فكر مالك بن نابي نجد "ماليزيا"، لقد عانت ماليزيا أعوام طويلة من الاستعمار الذي نهب خيراتها وعزز في أبناءها الجهل والتخلف، وخضعت لوطأة الاستعمار لمدة خمس مائة عام، ابتداءا بالاستعمار البرتغالي (1511–1641) ثم الهولندي (1641–1824)، ثم الايطالي (1824–1957)، ومن خلال هذه الحروب وآثارها السلبية كانت بداية حراك المجتمع الماليزي، نحو النهضة في ظهور حركات التجديد والاصلاح الديني، بعد أن اختلفت عقائد الناس، إن بناء الحضارة الماليزية تأسست على تغيير عالم الافكار أولا لدى الأفكار (الانسان) وذلك بنشر العلم الديني السليم، والاستفادة من تجارب البلاد الاسلامية التي سبقتها في هذا النهج.

وهكذا تم تحريك الأفراد فكريا فنتج عن ذلك الحراك الفكري المتحرر من عبودية الجهل والتقليد، وحراك سياسي يسعى للحرية، وتكاثف جهود منظمات على تحرير البلاد والتخلص من الاستعمار بقيادة أشخاص أدركوا قيمة الحرية ونضال طويل، حصلت من خلاله ماليزيا على الاستقلال والحرية وهكذا نشأت دولة ماليزيا مستقلة عندما ارتقى عالم أفكارها لمستوى القضية مما انعكس على عالم الأشخاص والأشياء.

-أميرة خشسوت، الطلبات والبحوث الدراسية، بحث حول **المفكر الجزائري مالك بن نبي**، متاح على www.stantmes.com.26/03/2015.14:13h

ومن خلال ذلك تكونت لدى ماليزيا عناصر بناء الحضارة كاملة، كما وضحها مالك بن نابي. كل نتج حضاري= إنسان + تراب + وقت.

ان ماليزيا بنت الانسان، ثم حررت الأرض وجعلت عامل الزمن نصيب عينها وأصبحت ماليزيا نموذج يحتذى به، فالنهضة التي قادها "مهاتير محمد" تحرك لها المجتمع بأسره، كبيرا وصغيرا، مسلما وبوذيا، للقيام بعملية التنمية والتغيير لتصبح ماليزيا في مصاف الدول المتقدمة كدولة اسلامية، وإذا أردنا أن نسوق ليلا على ذلك أن "مهاتير محمد"، الرئيس السابق لماليزيا اعترف بأن الفضل في نهضة ماليزيا يعود إلى أفكار مالك بن نابي وإلى ما تضمنه كتبه القيمة من توجهات فكرية صائبة.

وليس من المبالغ فيه إذا ما قلنا أن مالك بن نابي على قيد الحياة وسمع اعتراف "مهاتير محمد" بفضل ما كتبه انقص ماليزيا، من المؤكد ستغمره السعادة، والتأقلم في نفس الوقت، مو ن ا كان يكتبه بحرقة دم وأعصاب حول بناء العالم العربي والاسلامي حضاريا، استفاد منه العجم ولم يستفد منه العرب.

فالتجربة الماليزية في التنمية والتطوير نموذج يستحق النظر والدراسة كونها دولة اسلامية بنت حضارتها في العصر الحديث وأثبتت قوتها ووجودها بين الأمم.[1]

[1] أميرة ختشسوت، الطلبات والبحوث الدراسية، بحث حول المفكر الجزائري ، مرجع سابق.

المبحث الثاني: تقييم نقدي لفكر مالك بن نابي:

لقد تعرض مالك بن نابي كغيره من المفكرين إلى انتقادات عديدة من قبل النقاد والباحثين في مرجعيته ومعالمه وحتى في أهدافه، ومن بين الانتقادات نذكر:

- ضعف ثقافته الشرعية: باعتبار ان مالك بن نابي لم يتصل بعلماء عصره ليستفيد منهم، ورغم اعترافه بأهمية جمعية العلماء المسلمين في الجزائر، إلا أن علاقته بها كانت فاترة، ويعترف هو بعد بأنه كان مخطئا في هذا، وكانت دراسته للإسلام نابعة من قراءاته الشخصية قليلة إذا ما قيست بقراءاته للفكر الغربي، وهذا ما جعله يخطأ في امور كثيرة، سواء كانت في الفقه والاحكام، أو في النظرة لبعض جوانب التاريخ الاسلامي، فمن رموز الثقافة عنده الفرابي، وابن سينا، وابن رشد، والمجتمع في عصر الفرابي كان يخلق أفكارا، وفي عهد ابن رشد يبلغها إلى أوروبا، وبعد ابن خلدون لم يعد قادرا على الخلق ولا على التبليغ، وفي العصر الحديث من رموز الثقافة عنده، جمال الدين الأفغاني، كما أنه كان معجب بالهند وعلى أساس عدم وضوح توحيد الألوهية ظن انه من الممكن اتصال العالم الاسلامي بروحانية الهند مع أنها لا تطبق شرع الله.[1]
- النظرة السطحية للأحداث: كان مالك بن نابي عميقا في فهم غور الاستعمار وأساليبه الخفية وعميقا في معالجته القابلية للاستعمار عند المسلمين، ولكن في عالم الواقع والسياسة فيه سذاجة، فكيف للعالم العربي عاش ويلات الحرب والاستبداد السياسي وكرامة الشعب المسحوقة، فإنه لم يدخل أو بنظم إلى عالم السياسة، كما أنه قد الانتخابات السياسية التي تطالب بالحقوق فقط وتنسى الواجبات حيث انه ركز على الواجبات وأعطى لها قيمة عن الحقوق.[2]

[1] محمد العبدة، قراءة في فكر مالك بن نابي، متاح على الأنترنت.
[2] مالك بن نابي، الصراع الفكري، مرجع سابق، ص.22.

- الإنسانية والعالمية: إن مالك بن نابي قام بتوحيد الانسانية في مجتمع عالمي، فإن العالم دخل إذن في مرحلة لا يمكن أن تحل فيها أغلبية مشكلاته، إلا على أساس نظام الأفكار، وهذا المفهوم للإنسانية مفهوم وهمي، يراد به محو الشخصية الثقافية الحقيقية لكل مجتمع أو أمة، فإذا كان العالم قد تقارب وانتشرت الأفكار في كل مكان فيستفيد المسلمون من ذلك في نشر دينهم، أما أن يتوحد العالم في مجتمع واحد، فهذا مفهوم ذهني مجرد، فإذا كان مالك بن نابي نفسه بأن فكرة الأفرو آسيوية صعبة التحقق، فكيف يظن أن العالم يسير نحو الوحدة؟.[1]
- أعجب مالك بن نابي بقضية (اللاعنف) عند غاندي، فهو يبني عليها أحلامه الفلسفية في السلام العالمي، واتجاه العالم نحو مناقشة قضاياه بالسلم، والحوار والفكر، فإنه يلحق بالخيال و الطوباوية عندما يقول: "فكذلك رفات غاندي التي ذروتها فإن الأيام ستجمعها في أعماق ضمير الانسان من حيث سينطلق يوما انتصار اللاعنف وتشييد السلم العالمي".[2]

إن فكرة السلم العالمي فكرة غير واقعية، وغير شرعية، فإنها فكرة خيالية محضة تنافي مبدأ الجهاد في الإسلام، لأن طبيعة البشر التغلب والعدوان، إن لم يردعهم رادع، والدولة القوية تأكل الضعيفة، إن لم يكن هناك عسريا، واقتصاديا، وقد أشار القرآن الكريم في ذلك في قوله: "ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض".[3]

ففكرة اللاعنف والانسانية من الأفكار الخطيرة التي بذرها مالك بن نابي:

إن الفكر الإصلاحي عند مالك بن نابي، في نظر الباحثين تبريري وترميمي، وليس مكرا يوجد ويصنع المجتمع على أنقاض الواقع الفاسد من خلال الأساليب التي قدمها الرسول (ص) مع الصحابة في بناء المجتمع الإسلامي الأول، حيث انبثق حضارة جديدة من

[1] محمد العبدة، الصراع الفكري ، مرجع سابق.
[2] مالك بن نابي، في مهب المعركة، مرجع سابق، ص.87.
[3] سورة البقرة، الآية 151.

خلال إطار الكومنولث، وحل المشكلة المفاهمية في الجزائر، من خلال ميثاق طرابلس، فليس هناك شك بأن هذه النظرية خاطئة، فتطوير الأزهر وإصلاح المساجد والمحاكم، وتشكيل الجمعيات، وعقد المؤتمرات، وكل هذه الأطر تلمس خارج الإنسان، فهي ظاهرة لا تمس جوهره، وداخله وإن نجحت في التغيير فإنها ذات أمد محدود.

يعد البعض أن نتائج الفكر الاصلاحي عند مالك بن نابي من الأخطاء الفكرية، التي وقع فيها، وأما إعطائه للتراب قيمة قد لا تحقق حضارة، قد نجح الحضارة الغربية تستغل التراب أحسن استغلال، وتستثمر الوقت أحسن استثمار لكنها أوجدت أضرارا ومهالك للإنسان لم تشهدها البشرية من قبل، فالتراب والوقت لا ينتج بالضرورة حضارة، بل قد ينتج دمارا وخرابا، وتصدق المعادلة: إنسان + تراب + وقت = دمار.

- لقد وقع مالك بن نابي فيما وقع فيه "ابن خلدون" حيث استخلص قوانين من واقع وتاريخ العرب، والمسلمين وراح يعممها على كافة الشعوب، والقرارات التاريخية، ويظهر تأثيره "بابن خلدون" في تحديد لأعمار الحضارة، وأطوارها فهو لم يفعل شيئا، وإنما استبدل كلمة الدولة في الفكر الخلدوني بالحضارة في نظريته.[1]

[1] د/ الجيلالي بوبكر، موقع الشهاب للإعلام، فكر مالك بن نابي في فصل الاصلاح، متاح على: www.stantmes.com.26/03/2015.12:58h

شهادات في فكر مالك بن نابي:

لو أردنا أن نجمع ما قيل في فكر مالك بن نابي من آراء وشهادات، وانطباعات حول شخصيته وفكره، لتوفرنا على مادة ثمينة تضمها دفاتر الكتاب، لتكشف عن ذخائر فكر وابداع هذا المفكر الجزائري ومنها:

يقول عنه تلميذه وصديقه المحامي "عمر كامل مسقاوي": "تنطلق أفكار بن نبي، لا تضيف في المجتمع الإسلامي معرفة جديدة بالفقه، أو علما مستخلصا من تجارب للحضارة الحديثة، بل لتنظيم هذه المعارف في مفاهيم تربوية تسير بالإنسان خطوة متقدمة، فهو يطرح الاسلام عملهم لقيمنا، وقادر على استعادة دور الانسان مبرأ من ثقل الحضارة".

أما الأستاذ الشيخ "محمد المبارك" فقال عنه: "إنه عربي مسلم، ليس هو من المجتمع الأوروبي الذي عاش فيه بجسمه في شيء، وكان تعمقه في الثقافة الأوروبية سببا في تحرره من نفوذها، ومعرفة لمصادرها، ولدوافعها الخفية، وبواعثها العميقة، لقد تجمعت في قلبه، ونفسه، في عاطفته، وشعوره، وفي عقله، وتفكيره مآسي أولئك الملايين من البشر الذين يعيشون على أرض الجزائر، ضحايا لمدينة القرن العشرين.[1]: "استطاع بأسلوبه الذي تفرد به، وثقافته الغربية الواسعة، مع ثقافته العربية الاسلامية، أنه رائد الفكر، البعيد النظرة، القوي الإيمان، المناضل بقلمه في سبيل الاسلام، استقطب بفكره طلائع الشباب العربي"

أما الأستاذ "فوزي الحسن" قال عنه: "كان ذا ثقافة واسعة، يجيد الحوار والرد على سائله بشكل مقنع شاف، حتى انه كان يستطيع تحديد اختصاص السائل العلمي، كان ينشر كتبه لغرض ايصال فكره، ولذلك فهي تباع بسعر زهيد مما يوقعها بعجز يسد من جيبه".[2]

[1] د/ أسعد السحمراني، مالك بن نابي مفكرا اصلاحيا، مرجع سابق ، ص. 21، 22.
[2] بشير ضيف الله، فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نابي، منشورات المجلس، الجزائر، ط1 ، 2004، ص. 25، 28.

وكما قال عنه الدكتور سليمان الخطيب: "إن دراسة عطاء مالك الفكري في إطار المسألة الحضارية، يكسبنا عمقا، يرتبط ببنية الفكر الاسلامي المعاصر الذي يمتد بجذوره إلى تراث الامة الفكري والثقافي الذي صاغته، وبلورت مفاهيمه أصول عقيدية وا يمانية حددتها تعاليم ومبادئ القرآن الكريم والسنة الشريفة".[1]

رغم هذه الانتقادات والسلبيات والأخطاء التي وجهت لفكر مالك بن نابي فإنها لا تمنع من الاستفادة من الايجابيات لفكره، فمالك بن نابي خبير في نهضة المجتمعات وأمراض المسلم المعاصر، فهناك البعض يقولون: ما دامت هذه أراءه فما الفائدة من قراءة كتبه؟ وهذا يعتبر خطأ فادح، فنحن نقرأ لإعداد الاسلام والاستفادة منه، فكيف بمفكر كان يسعى بجهده لخير المسلمين، مالك بن نابي شخصية كبيرة، قهو يتراجع عن الخطأ إذا تبين له ذلك[2]، ورغم معرفة مالك بن نابي الدقيقة بالفكر الغربي، وتأثره به أحيانا إلا أن منبعه الأساسي في العالم العربي والاسلامي، هو الدين والاسلام، فالعالم الاسلامي لا يستطيع أن يجد مخرج إلا في إطار هذا المنبع الأساسي.[3]

[1] د/ سلمان الخطيب، فلسفة الحضارة عند مالك بن نابي، مرجع سابق ، ص. 06.
[2] مالك بن نبي، شروط النهضة، ص. 38.
[3] مالك بن نابي، وجهة العالم الاسلامي، ص.170.

الخاتمة:

لقد تطرقنا في هذا البحث إلى الأطروحة في الفكر العربي المعاصر أطروحة مالك بن نابي بهدف الوقوف عند إشكالية طالما شغلت اهتمام العديد من المفكرين العرب منذ القرن الرابع الثاني من القرن التاسع عشر، وهي إشكالية النهضة التي تمثلت في الكثير من المحاولات النهضوية.

قائمةالمصادر و المراجع

قائمة المصادر:

1- مالك ابن النبي، **بين الرشاد والتيه**، دار الفكر، دمشق، ط1، 1978.

2- مالك بن نبي، **آفاق جزائرية**، مكتبة النهضة الجزائرية ، ط 1،1964.

3- مالك بن نبي، **الظاهرة القرآنية**، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط.4، 1987.

4- مالك بن نبي، **المسلم في عالم الاقتصاد**، دمشق، سوريا، ط.3، 1987.

5- مالك بن نبي، **انتاج المستشرقين وأثره في الفكر الاسلامي الحديث**، دار الرشاد، بيروت، ط.1، 1969.

6- مالك بن نبي، **تأملات**: دار الفكر، دمشق، 1989.

7- مالك بن نبي، **شروط النهضة**، ت: د/عبد الصابور شاهين، دمشق، ط1،1989.

8- مالك بن نبي، **فكرة الافريقية الآسيوية** ت:ع.الصابور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط.3، 1992.

9- مالك بن نبي، **فكرة الافريقية الآسيوية**، ت. عبد الصبور شاهين، بيروت، ط.2، 1971.

10- مالك بن نبي، **مشكلة الثقافة**، دار الفكر، دمشق، ط4، 1984.

11- مالك بن نبي، **ميلاد مجتمع**، ت: عبد الصبور شاهين، ج1، دمشق، ط3، 1986.

12- مالك بن نبي، **وجهة العالم الاسلامي**، ت:عبد الصابور شاهين ،بيروت 1959.

قائمة المراجع:

13- ابراهيم مصطفى ابراهيم، **الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم**، دار الوفاء للطباعة والنشر، الاسكندرية، ط.1، 2001.

14- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، تونس، 2003.

15- أحمد امين، وزكي نجيب محمود، **قصة الفلسفة الحديثة**، القاهرة، ط5، 1967.

16- الأخضر شريط، **مشكلة التاريخ في الحركة التاريخية**، دار الخليل العلمية الجلفة، طبعة خاصة، 2013.

17- أزوالدشبنغلر، **تدهور الحضارة الغربية، ج1**، أحمد الشيباني، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1964.

18- أسعد الحمراني، مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا، دار النفاس، بيروت، ط1، 1984م، ط2، 1986م.

19- آمنة تشيكو، مفهوم الحضارة عند مالك بن نابي، وأرلوند توينبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.

20- بشير ضيف الله، فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نابي، منشورات المجلس، الجزائر، 2004.

21- توفيق الطويل، **قصة الصراع بين الدين والفلسفة**، ط.3، دار النهضة العربية، القاهرة، 1979.

22- جان جاك روسو، **أصل التفاوت بين الناس**: يولس غانم، تقديم ربيع عبد الكريم الشيخ الأنيس، سلسلة العلوم الانسانية، اشراف على المكر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1991.

23- جمال الدين الأفغاني، **العروة الوثقى**، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط.،1980.

24- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج.1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط.1، 1978.

25- حسين حنفي، **تاريخ موجز للفكر العربي**، دار الرشاد، القاهرة، ط.1، 1996.

26- حسين مؤنس، **تاريخ موجز للفكر العربي**، دار الرشاد، ط.1، 1996.

27- خليل الديك، **المنجد في اللغة العربية المعاصرة**، دار المشرق، بيروت، شركة الطبع والنشر اللبنانية، ط.2.

28- دادي ناصر عدون وشنوف شعيب، **الحركة الاقتصادية في البلدان النامية بين عالمية مالك بن نبي والعولمة الغربية**، الجزائر، 2003.

29- رابح لونيسي، **مالك بن نبي المفكر العقلاني** ، دار المعرفة ، الجزائر، 2000.

30- رفاعة الطهطاوي، الأعمال الكاملة ج، تحقيق محمد عمارة 2، بيروت، دون ط، 1973.
31- رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.
32- سعدت جودت، **حتى يغيروا ما بأنفسهم**، تقديم مالك بن نبي، دمشق، مطبعة زيد بن ثابت الأنصاري ، ط 6، 1984.
33- سلمان الخطيب، فلسفة الحضارة عند مالك بن نابي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط.1، 1993.
34- سليمان الخطيب، **فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي**، دار النشر بيروت لبنان،ط1، 1993.
35- شكيب أرسلان، **نهضة العرب العلمية في القرن الأخير**، ج3، دمشق، 1954.
36- ضياء قرشي، **العولمة وفرص وتحديات، التمويل والتنمية**، مارس 1993م.
37- عبد الرحمن بدوي، **فلسفة العصور الوسطى**، دار القلم ، بيروت ، ط.3، 1979.
38- عبد اللطيف عبادة، **صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي**، دار الشهاب، 1984.
39- عبد اللطيف عبادة، **فقه التغيير في فكر ابن نبي**، الجزائر، ط.2، 2007.
40- عبد الله بن حمد العويسي ، **مالك بن نبي حياته وفكره** ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت ، ط1،2012.
41- عبد المنعم الحنفي، **موسوعة الفلسفة والفلاسفة**،ج1، ط.2، مكتبة المدبولي، القاهرة، 1999.
42- عمر النقيب، **مقومات مشروع بناء انسان الحضارة في فكر مالك بن نبي التربوي**، الشركة الجزائرية اللبنانية، ط. 1، 2009.
43- قادة بحري، **محطات اقتصادية من فكر مالك بن نبي**، الجزائر، ط. 1، 2006.
44- كمال مظهر أحمد، **النهضة**، منشورات وزارة الثقافة والفنون، العراق، 1979.
45- لويس عوض، **ثورة الفكر المعاصر في النهضة الأوروبية**، القاهرة، ط1، 1987.
46- محمد بغداد باي، **التربية والحضارة**، بحث في مفهوم التربية طبيعة علاقتها بالحضارة في تصور مالك بن نبي، دار عالم الأفكار، الجزائر، ط.1، 2006.
47- محمد سيلا، **الإيديولوجيا نحو نظرة متكاملة**، المركز الثقافي العربي، ط.1، 1992.

48- مرتضي مطهري، **الحركة الاسلامية في القرن الأخير**، بيروت، ط، 1982.
49- مصطفى حسيبة، **المعجم الفلسفي**، الأردن عمان، ط.1، 2008-2009.
50- نيكولا ميكيا فيلي، **الأمير**، ترجمة: أكرم مؤمن، مكتبة ابن سينا للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، 2004.
51- هيجل، **المدخل إلى علم الجمال، فكرة الجمال**، ت. جورج طرابشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط.3، 1988.

المعاجم و القواميس:

المعاحم :

1–خليل الديك ، **المنجد في اللغة العربية المعاصرة** ،دار المشرق ، بيروت ، شركة الطبع والنشر اللبنانية ، ط2 ص1458– 1459.

2–عبد المنعم الحنفي ، **موسوعة الفلسفة والفلاسفة** ،ج1،ط2،مكتبة المدبولي ،القاهرة ،1999 ،ص 1482.

3–مصطفى حسيبة ، **المعجم الفلسفي** ،الاردن ،ط1،2009،ص 313.

4-لويس معلوف ،**المنجد في اللغة والاعلام**، دار دمشق، بيروت، ط.3، 1997، ص139.

القواميس:

1- Le petit Larousse illustrée, 2007.
2- William D. Halsey, **Macmillan dictionary**, Editorial Director, Network, 1973.

المواقع الإلكترونية:

www.stantmes.com.26/03/2015.12:58h
www.stantmes.com.26/03/2015.14:21h
أميرة خشسوت، الطلبات والبحوث الدراسية، بحث حول **المفكر الجزائري مالك بن نبي**، متاح على www.stantmes.com.26/03/2015.14:13h
محمد العبدة، قراءة في فكر مالك بن نابي، متاح على الأنترنت.
الجيلالي بوبكر، موقع الشهاب للإعلام، فكر مالك بن نابي في فصل الاصلاح، متاح على الأنترنت.

المجلات:

1- بيرتراندراسل، **حكمة الغرب**، ترجمة فؤاد زكريا،ج2،سلسلة كتب عالم المعرفة، الكويت، العدد72،ديسمبر، 1983.
2- حسن صعب، **الانسان هو الرأسمال**، مقال منشور بمجلة عالم الأفكار، مجلد 2، العدد 4، وزارة الاعلام، الكويت، 1972.
3- حمدي عبد الرحمن حسن، **المستقبل العربي**، العولمة وآثارها السياسية في النظام الاقليمي والعربي، مركز الدراسات الوحدة العربية، العدد 258.
4- رفاعة الطهطاوي، **مجلة المنطق**، العدد 58.
5- ظواهر محمد التهامي وناصر دادي عون، القيادة والقيم للمؤسسة، حالة مؤسستين صناعيتين، العدد 51، 2000.
6- عبد الله العمر،**ظاهرة العلم الحديث**، سلسلة كتب عالم المعرفة ،الكويت، العدد 69، سبتمبر،1983.
7- محمد الاطرش، **العرب والعولمة**، المستقبل العربي، بيروت، العدد، 1999.

الأطروحات والمذكرات:

1- شنوف شعيب، **الاقتصاد العالمي العادل عند مالك بن نبي**، رسالة ماجستير نوقشت يوم 23-24 فيفري 2011م، جامعة غرداية.

الفهرس

مقدمة

أضواء على فكر وشخصية مالك بن نبي.....06

1-حياته.....06

2- جهوده وآثاره الفكرية.....08

الفصل الأول: النهضة وسياقها التاريخي.....10

المبحث الأول: النهضة لغة واصطلاحا.....11

1- النهضة لغة.....11

2- النهضة اصطلاحا.....12

المبحث الثاني: السياق التاريخي للنهضة.....13

1- النهضة الأوروبية.....13

2- النهضة العربية.....17

المبحث الرابع: نماذج من حركات النهضة في العالم العربي الإسلامي.....18

رفاعة الطهطاوي(1801-1873م).....18

خير الدين التونسي:(1810-1899م).....19

جمال الدين الأفغاني: (1838-1897م).....19

الفصل الثاني: الحضارة في تصور مالك بن نابي.....20

المبحث الأول: مفهوم الحضارة.....22

المبحث الثاني: مراحل الحضارة وشروطها.....24

1- مراحل الحضارة.....24

2- شروط الحضارة في فكر مالك بن نابي.....27

- الانسان.....27

- التراب.....35

- الوقت.....37

المبحث الثالث: معوقات الحضارة ومقوماتها في فكر مالك بن نبي.....39

1- معوقات الحضارة.....39

2- مقومات الحضارة.....43

المبحث الرابع: محورية الانسان في التغيير الحضاري.....46

الفصل الثالث: الإصلاح والتغيير في فكر مالك بن نابي.....56

المبحث الأول: إسهامات مالك بن النبي الإصلاحية في العالم العربي والإسلامي..57

1- التغيير النفسي.....58

2- الإصلاح الاجتماعي.....62

3- الإصلاح الاقتصادي.....69

4- الاصلاح السياسي.....80

الفصل الرابع: أثر مشروع فكر مالك بن نابي في العالم.....88

المبحث الأول: تأثير فكر مالك بن نابي في العالم.....89

1- في العالم العربي.....89

2- في العالم الغربي.....90

المبحث الثاني: تقييم نقدي لفكر مالك بن نابي.....92

الخاتمة.....97

قائمة المراجع.....99